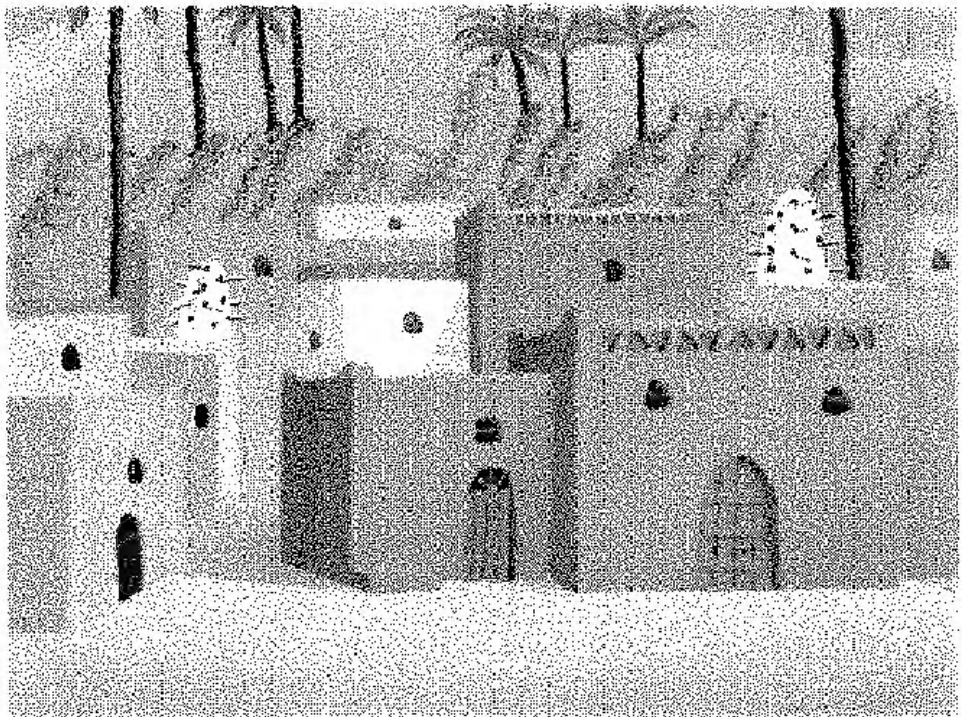
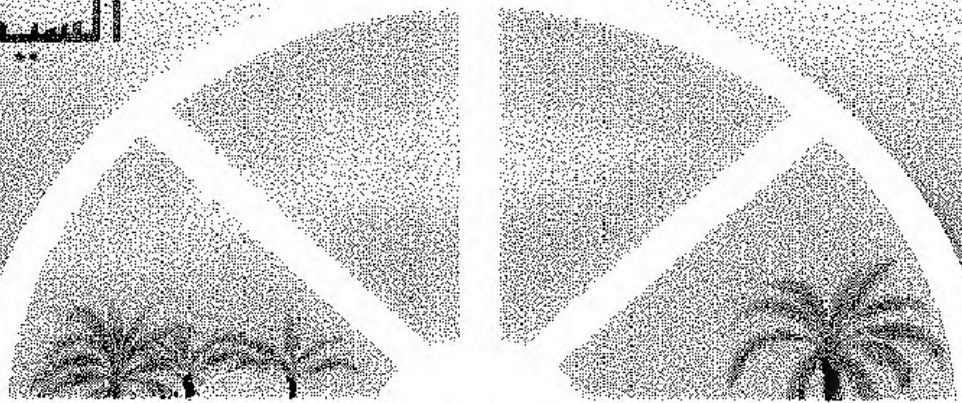


بلييس بلد الانبياء والرسل

تأليف

السيد محمد عاشور



بلييس
بلد الأنبياء والرسل

دار الأمل

دار الأمل

٨ شارع عبد العزيز حامد - أول الملك فيصل - الهرم

٥٨٦-٨٩٢

٩٨/٨٨٨٩

1 - 33 - 5823 - 977

مطابع الوادي الجديد

دار السلام

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناسر

أرمس للكمبيوتر

٣٢ ش على عبد اللطيف - مجلس الأمة - لاطو على

٣٥٦٤٤٠٤

١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

الناشر :

العنوان :

تليفون :

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي :

طبع :

العنوان :

جمع وإخراج :

العنوان :

تليفون :

الطبعة الأولى

بلیس بلد الانبیاء والرسل

تألیف

السید محمد عاشور

الناشر

دار الامل للنشر والتوزیع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نهج بعض المؤرخين والكتاب منذ الزمن القديم على كتابة تاريخ بعض المدن ميينين أهميتها التاريخية ، واستمر هذا النوع من الكتابة حتى عصرنا الحاضر ، فمازلنا نرى المؤرخين يكتبون عن المدن الحديثة وتاريخها .

ونحن نرى من كتب عن يابل وأشور وأور الكلدانيين تلك المدينة التى خرج فيها سيدنا إبراهيم هرباً بدينه الحنيف من موطن الشرك والوثنية .

وفى عهد الفراعنة كتب الكثير عن مدينة طيبة (الأقصر حالياً) ومنف وعين شمس (هليوبوليس) .

وفى العصر الإسلامى قام الكثير من المؤرخين المسلمين أمثال المقرئى وعلى باشا مبارك وابن دقماق وابن زولاق وغيرهم بكتابة تاريخ المدن المصرية .

وقد ساءلت نفسى بعد الاطلاع على كثير من هذه الكتب - هل مدينة بليس تستحق الكتابة - أم لا . وجدت الإجابة أنها تستحق بل وجدت من الراجب الكتابة عنها لعدة أسباب .

١ - من الناحية الدينية استقبلت خمساً من الأنبياء والرسل وهم :

١ - سيدنا يوسف وسيدنا يعقوب وأولاده .

٢ - ولد بها سيدنا موسى عليه السلام ونشأ بها .

٣ - مر بها سيدنا عيسى وأمضى بعض الوقت فى قرية جيفة (غيته) الآن وهى إحدى قرى بليس والقرية منها .

٤ - أمضى بها سيدنا عمرو بن العاص ما يقرب من شهر عند فتح مصر وانتصاره على الروم .

٥ - مرت بها السيدة الكريمة الفاضلة السيدة زينب ومعها الإمام على زين العابدين وكان صغيراً ، وقد قوبلا استقبالا حاراً من أهالى بليس .

٢ - من الناحية السياسية :

كانت هذه المنطقة بليس (جوشن) عاصمة للفراعة إذ كانت « بر رعمسس » عاصمة لرمسيس الثانى ، ومدينة أواريس عاصمة للهكسوس ، وكلتاها يقعان فى منطقة بليس .

٣ - من الناحية الاستراتيجية والحربية :

فقد شهدت بليس المعارك الكثيرة مثل المعركة التى انتصر فيها عمرو بن العاص قائد جيش المسلمين على جيش الروم كما شهدت الحروب الصليبية ، والتى قامت بين شاور وضرغام وبين القواد الصليبيين ، والتى انتهت بانتصار صلاح الدين الأيوبي على هؤلاء الصليبيين وشهدت حرب نابليون والمماليك .

كل هذا دفعنى إلى الكتابة عن بليس ، وقد فصلنا تاريخها فى هذا الكتاب وإن كان هناك الكثير مما لم أكتبه ، وأرجو الله أن يتقدم أبناء بليس بما يعن لهم من تاريخ .

والحمد لله أولاً وأخيراً .

المؤلف

السيد محمد عاشور

* * *

الباب الأول
بليس واسمها فى الزمن القديم
وأهم مدنها القديمة

بلييس واسمها فى الزمن القديم

عرفت بلييس فى الزمن القديم باسم جوشن أو جاشان ، وكانت هذه المنطقة تسمى فى التوراة وكتب التاريخ باسم جوشن أو جاشان أو جاشان الكبرى .

كانت هذه المنطقة تقع بين محافظتى الشرقية والإسماعيلية الآن ، وأخذ اسم جاشان يتطور تبعاً للأهواء السياسية والدينية والاجتماعية حتى صار الاسم بلييس ، وقدمنا ذلك فى الفصل الخاص ببلييس . أما حدود منطقة بلييس قديماً فكانت كما يلى :

١ - حدد المؤرخ جريفث منطقة جوشن بأنها المنطقة التى تقع بين فرع النيل اليلوزى (مكان بحر موبس الآن) والقنال الذى يبدأ من بلييس .

٢ - يرى الدكتور فيليب حتى « أن أرض جاشان التى أقطعها سيدنا يوسف لأبيه سيدنا يعقوب ، كانت تشمل المثلث الواقع بين باستت (الزقازيق) حالياً ومن بلييس وتل المسخوطة (التل الكبير الآن) .

٣ - دلت الاكتشافات الحديثة أن منطقة بلييس (جوشن) كانت المنطقة الممتدة من قناة السويس حتى مدينة بلييس والزقازيق .
ويضيف قائلاً (١) :

إن هذه المنطقة كانت تقع غرب السور المقام على طول المنطقة التى نشأت مكانها قناة السويس (٢) الآن وكان هذا السور عبارة عن حصون وقلاع يقوم بالإشراف عليه جنود مصريون لمراقبة الداخلين إلى مصر والخارجين ، ولحماية مصر من غارات الأعداء (٣) .

٤ - جاء فى كتاب رحلات إلى أرض إسرائيل ما يأتى :

(1) The Route of Exodua .

(٢) مجلة الشرقية (١١٥) .

(٣) طريق خروج بنى إسرائيل من مصر .

« والسفر من سكوت إلى جوشن أربعة أيام ، ويقول أيضاً إن جوشن هي مدينة بلبس » (١) . وكان ذلك أيام صلاح الدين الأيوبي حوالى سنة (١١٨٧م) .

٥ - جاء فى التوراة ما يأتى : « يقول ابنك يوسف (سيدنا يوسف) قد جعلنى الله سيداً لكل مصر انزل إلى لا تقف فتسكن فى أرض جاشان » جوشن وتكون قريباً منى أنت وبنوك » (٢) .

وجاء أيضاً « أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك ليسكنوا فى أرض جاشان » (٣) .

٦ - جاء فى قاموس الكتاب المقدس ما يأتى :

جاشان هي منطقة خصيبة فى مصر كثيرة المراعى للقطعان والمواشى واقعة شرق الدلتا ، وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبى زعبل إلى البحر ، ومن برية جعفر إلى وادى الطميلات ، وقد أعطاها يوسف لأبيه وأخوته وسكنوا فيها ومكثوا فيها حوالى مائتى عام ، وهي تكون جزءاً من أرض رعمسيس (٤) .

* * *

(١) كتاب رحلات إلى إسرائيل تأليف إبراهيم بغيرى (ص ٨٥) ، وهذا الكتاب باللغة العبرية وترجمنا إلى اللغة العربية النص الخاص بمنطقة جوشن .

(٢) سفر التكوين اصحاح (٤٦ / ١٠) .

(٣) سفر التكوين اصحاح (٤٧ / ٦) .

(٤) قاموس الكتاب المقدس (٢٤٢) .

جوشن (ومعنى الكلمة)

جوشن بمعنى قسم

يرى بعض المؤرخين أن جوشن تعنى قسم = قسم من الدولة ، وقالوا إن (ح ش ن) = يمكن أن تكون (ح س ن - ق س م) ، وذلك : أن الجيم فى اللغات السامية يمكن أن يحل محلها حرف القاف (ق) ج = ق أو ك .

وأن (ش) = يمكن أن يحل محلها (س) فى اللغة العبرية ، وهناك بعض القبائل من ينطق (ش) وبعضهم ينطقون (س) فمثلاً كلمة شبله = سبلا .
وأن النون يمكن أن تحل محلها حرف الميم (م) .

ويكون حوسن = قسم
كسم
Ksm

وتكون (ج ش ن) تكون
ك أو ق س م
Ksm

ومن هذه التفسيرات يمكن القول بأن جوشن هى بمعنى قسم من الدولة ، وأن هذا القسم من الدولة كان معروفاً منذ الأسرة الثانية عشرة ، وإن لم يظهر بهذه الأهمية الخطيرة إلا فى عصر رمسيس الثانى إذ سكنها وبني فيها المدن الهامة (١) .

* * *

أهم المدن التى كان تتبع منطقة جوشن

قلنا إن منطقة جوشن كانت تشمل تقريباً بما نسميه اليوم (محافظتى) الإسماعيلية والشرقية - وكانت هذه المنطقة تشمل عدة مدن هامة ذات أحداث تاريخية عظيمة مازلنا نذكرها حتى أيامنا هذه .

ومن أهم هذه المدن هى :

٢ - تحفنجيس

١ - صوعن

(1) Jewish ENC .

وانظر أيضاً سترابون .

- | | |
|--------------------------|--------------|
| ٤- تل اليهودية | ٣- رعمسيس |
| ٦- بيتوم (تل المسخوطة) | ٥- بوباسته |
| ٨- سكوت | ٧- الرطاية |
| ١٠- مجدل | ٩- شور |
| ١٢- بلوز | ١١- هاهجيرون |
| ١٤- إيتام | ١٣- الفرما |
| ١٦- بعل صفون | ١٥- فم الحوت |

* * *

الباب الثانى بليس وأصل الكلمة

بليس وأصل الكلمة

إن كلمة بليس لفظة لم توضع اعتباطاً ولكن لها معنى وهو عبادة القبط .
أما كيف يكون هذا التفسير فنقول :

إن كلمة بليس تتكون من لفظين أو كلمتين هما : بعل ويس .

بل : أصلها بعل بمعنى إله أو السيد ، وكان بعل إله الزراعة والمطر في بعض الدول الآسيوية مثل بلاد العراق (قديماً) ، وكانت هذه الكلمة تضاف إلى بعض الألفاظ الأخرى للتشريف ، والتعظيم كما يقول المسلمون الآن عبد الرحمن فكان بعل بس يعنى معبود لآله آخر ، وفي بعض الأحيان كانوا يضيفون كلمة بعل مدينة ما أو مكان مثل بعلبك ^(١) ومعناها وادى الرب أو بيت الرب ، وبعلبك مدينة بالشام .

وتختصر كلمة بعل إلى « بل » لأن نطق حرف العين صعب ، ولذا نجد بعض النحاة يفضلون نطق بل بدلاً من بعل ^(٢) .

وهناك أمثلة على ذلك فمثلاً مدينة جبل مكنون من كلمتى حى + بل ، وكذلك كلمة مثل بلعام وأصلها جى + قعل ، بعل + عام .

أما كلمة بعل فقد دخلت اللغة المصرية القديمة أيام الهكسوس الذين حكموا مصر فترة من الزمن واتخذوا بعل إلهاً لهم .

* * *

بس

أما لفظة ليس فيعنى اسم أحد آلهة مصر أيام الفراعنة، وجاء ذكره فى كثير من

(١) بك بمعنى مدينة بك تقارب كلمة باكى المصرية القديمة ، وكذلك القبطية والتي تعنى مدينة أو مكان ، انظر فى ذلك :

D Baal Bak In History By gohn woad .

(٢) انظر : د/ صلاح صالح أستاذ بكلية اللغات والترجمة .

النقوش والآثار المصرية عند الكلام كما وجد على معبد تيفون صورة الآله بس
التي حفرت على بعض أعمدة المعبد ، وعلى كل حال فإن صفات الآله بس
كانت صفات خاصة (١) .

وجاء عن الآله بس ما يأتي :

كانت بالردهة ثمانية عمد فى صفين مزدوجين وكانت هذه العمد مزينة بصور
الآله بس إله الفرح والسرور الذى يلبس ريشاً غالياً .

وجاء أيضاً عند الكلام على الردهة (صالة) الثانية كان على جانبي الممر قد
أقيم عمود مستطيل محلى بصورة الآله بس نقش عليه اسم الملك تهرقا
والقابه (٢) .

ويقول الأثر يدح :

« ويجدر بنا الاعتقاد بأن الآله بس كان إلهاً محلياً والمعتقد أنه إله مصر ، ومن
الجائز أن اسم بس قد أطلق على هذا الإله لأنه يرتدى جلد الحيوان بس الذى
وجد بالحيوان فيلبس حرابلوروس .

ويمثل هذا الآله لابساً لباس رأس بریش يدل على أنه حيوان برى أو شبه برى ،
وأن خواصه خواص إفريقية الأصل أكثر منها آسيوية ، وأن صورة بس توحى بأن
موطنه هو موطن الأقزام هذا إلى أن علاقة اسم هذا الآله ببلاد البنط وأرض
الأرواح تشير إلى وجود اعتقاد بأن عبادته كانت من إنتاج أقوام الجزء الشرقى من
وسط أفريقية ، يضاف إلى ذلك أن الآله بس كان يعد آله الفرح والسرور والمرح ،
وهذه كلها سمجاً يتصف بها أهل أواسط أفريقية وبلاد السودان (٣) .

ويقول أحد المؤرخين : « إن موطن الآله بس هو السودان وجاء إلى مصر
وأصبح من الآلهة المصرية واستوطن شرق الدلتا » (٤) .

(١) مصر القديمة جزء (١١/٢٥٥) سليم حسن .

(٢) مصر القديمة جزء (١١/٢٥٥) سليم حسن .

(٣) مصر القديمة جزء (١١/٢٤٠) .

(4) The Qwelles of the Nile P . 163 .

ويقول أيضاً : إنه كان يتحلى بريش على رأسه ، وأنه آله الحب والجمال وآله الموسيقى (١) .

ويرى مؤرخ ثان أن كلمة Bis تعنى : يدخل .

بينما يقول مؤرخ ثالث عن معنى Bis بس : إنه إذا تولى ملك جديد حكم مصر فلن يبدأ عملاً ما إلا إذا دخل حجرة العرش قبل توليه رمام الحكم ، وهذا معنى بس ، ويشاهد فى الحلقة الآله بس يضرب على العود (٢) .

وقد أهدى الكاهن الأكبر الملك ششبق (٣) تمثالاً للآله بس وهو محفوظ الآن بمتحف ألن ويك كاسل من أعمال إنجلترا .

وعثر أيضاً فى سقارة على مومياء وبجانيتها تمثال صغير للآله بس وعلى رأسه ظعراء الملك تاكيلوت الثانى بمثابة تاج له محلى بريش نعام أو يعبارة أخرى كان تمثال الآله بس مستعملاً صورته المزينة بريش النعام بمثابة مروحة مثبتة على قطعة من الخشب لها يد طويلة (٤) .

* * *

بر = بير :

كلمة بر أو بير : هما لفظتان بمعنى بيت أو دار وهما لفظتان مصريتان فى اللغة الهيروغليفية ، وإذا أضيفت إحدى هاتين اللفظتين إلى كلمة ما فإنها تدل على بيت أو دار .

وعلى هذا التفسير يرى بعض المؤرخين أن كلمة بليس قد يرجع أصلها إلى بر بس أو بير بس بدلاً من بليس (٥) .

(1) Les Trities et Les Rites en Tgylei Anaeus Par hax quilmaus
P. 83 .

(٢) سليم حسن (٣٩١/١٦) .

(٣) ششبق إحدى ملوك الأسرة (٢٢) التى حكمت مصر فى القرن الثامن قبل الميلاد .

(٤) مصر القديمة جزء (٣٢٣/٩) تأليف سليم حسن .

(٥) كتاب قواعد اللغة المصرية القديمة فى عصرها الذهبى تأليف د . عبد المحسن بكير .

وكتاب لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر تأليف عبد السميع سالم
الهورى (ص ٧٣)

وأن كلمة بر أو بير كما قلنا تعنى بيت أو مكان أو معبد ، وهى كلمة مصرية قديمة ، وجاء منها برعا أى بيت الملك ، والذي جاء منها كلمة فرعون ، وجاء منها بر أو زير أى مدينة الآله أورر (١) .

كما جاء أن مدينة بليس كانت تسمى بير بس أى معبد لبس أو مكان عبادة بس .

* * *

بوابسة

ذكرت بوابسة فى مواضع عدة بمعان مختلفة نذكر منها :

(أ) ياستت صاحبة تل بسطة .

(ب) يعطى الحقل لأمه باستت العظيمة ربة بوبسطة ، ويقال أيضاً بوابسة أو باستت العظيمة ربة بوابسة معطاء الحياة مثل رع أبديا (٢) .

وقد ذكرت تل بسطة فى التوراة .

جاء فى سفر حزقيال ما يأتى :

شبان أون وفييسطة يسقطون بالسيف وهما يذهبان إلى السبي (٣) .

وكلمة قيسة مكونة من لفظين هما فى + باسة أما كلمة فى فهى بى المصرية القديمة بمعنى بيت أو مكان ، وأما كلمة باسة فهى معنى القط آله وتكون كلمة فبتسة بيت الآله القط .

* * *

القط ومركزه عند المصريين القدماء

كانت الدول قديماً تتخذ من بعض الحيوانات آلهة لهم يعبدونها كما كان بعضهم يتخذ أصناماً آلهة ، وكان المصريون قد اتخذوا من بعض الحيوانات آلهة يعبدونها فكان العجل أيبس مثلاً ، وكان القط وغيرهما ضمن الحيوانات التى

(١) مقال منشور بجريدة الأهرام للأستاذ الأثرى أحمد الصاوى ، والمقال منشور بنصه فى آخر الكتاب .

(٢) مصر القديمة جزء (١٢/٢٠٦) تأليف سليم حسن .

(٣) سفر حزقيال (١٢/٣٠) .

عندها المصريون قبل نزول الأديان السماوية ، وقد أظهرت الحفريات والنقوش التى وجدت فى منطقة تل بسطة أن القط كان من بين الآلهة التى عبدها المصريون ، وأن تل بسطة كان المركز الرئيسى لعبادة القط والذي كان يسمى سيدة الشرق القديم .
● باستت :

هى آلهة بوباستة فى شرق الدلتا ويمثلها القط .
ويقول الأستاذ Monemy إن باشتت كانت آلهة بوباستة ولها وجه قطعة (١) .
ويرى فى أحد المناظر أن الفرعون « تاكيلوث » (٢) يقدم للآلهة باستت الآلهة العظيمة ربة بوباستة ، وقد مثلت واقفة وعلى رأسها قرص الشمس خلف الآله باستت (٣) .

وبليس هى إحدى المدن التابعة للأقليم السابع عشر من مقاطعات مصر السفلى . وكانت هذه المدينة تقدر الآله رع . أما الأقليم كله فقد كان يطلق عليه أم خنت وهى تل بسطة الحالى ، وهى بالقرب من الزقازيق الحالية .

بليس بكسر الباءين وسكون اللام والياء والسين مهمة كذا ضبطه نصر الإسكندراني قال والعامه تقول بليس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام يسكنها عيسى بن مغيض .

فتحت بليس سنة (١٨ أو ١٩) على يد عمرو بن العاص (٤)

وجاء فى القاموس الجغرافى :

قاعدة مركز بليس هى من المدن القديمة ذكرها جوتيه فى قاموسه وقال : إن اسمها القبطى Becok (بكوك) ثم ذكر فى موضع آخر اسما مصرية هو بارست ، وقال يحتمل أن يكون هذا اسم مدينة بليس ، ثم قال : إن الأستاذ «إتين» قال : إن الرومى Billos (بيلوس) ، والقبطى Belbes وأنها واقعة بين عين شمس وبين بسطة فى حدود الصحراء الشرقية .

(1) The Quelles of the Nile By Wallis Budge P . 30 .

(2) La Religion Egyptienne By Tnonly .

(٣) مصر الفرعونية جزء (٣٢٣/٩) تأليف سليم حسن .

(٤) معجم البلدان للشيخ الإمام ياقوت الحموى (ص ٤٧٩) جزء أول .

وقد بحثت عن اسم بارست الذى قال المسير جونه أنه يحتمل أنه يكون اسم بليس فبين لي أن هذا الاسم هو لقرية أخرى اسمها « براتن » التى هي براش إحدى قرى مركز بليس ، ومعها فى منطقة واحدة وأن من قربها من بليس هو الذى حمل الأستاذ جونه على احتمال نسبتها إليه .

وأما الأستاذ اميلنيو فقد قال فى جغرافيته : إن اسمها القبطى **Phelbes** كما وردت فى بعض أوراق السلم ، وقال أنها وردت فى كتب أخرى قبطية باسم **Posok , Thelbes , Phalabes** ووردت فى المصادر العربية باسم بليس فى كتاب المسالك والممالك لابن حوقل ضمن القرى الواقعة على الطريق من الفسطاط بمصر إلى الرملة بفلسطين قال : وبينها وبين الفسطاط (٢٤) ميلاً .

جاء فى قاموس اقلاديوس : **Pelbes** .

بليس أو مدينة الخندق مدينة بمصر السفلى يقرب سلسلة جبل العرب منفصلة عن الصحراء المؤدية إلى البحر الأحمر كائنة بمديرية الشرقية الآن ، وكانت دار الأسقفية وأثارها قليلة وهى توجد شمال شرقى بليس الحالية .
وقد وجد لها أسماء أخرى مثل ييسوك **icok ocok** (١) .

ووردت فى المسالك لابن حوقل عن مصر ، وفى أحسن التقاسيم للمقدسى بأنها قصبة الخوف وجاء فى صبح الأعشى بليس والجارى على الألسنة قال : وهى مدينة متوسطة وبها المساجد والمدارس والأسواق ، وهى محطة رجال الدرب الشامى .

وجاء فى كتاب الانتصار بليس بكسر الباء أولها ، وعن اليكر بفتحها قال : وهى مدينة مليحة ، وهى قصبة الخوف قاعدة إقليم الشرقية وبها والى الحرب وبها جامع ومدارس وأسواق وفنادق وبساتين ، وبها نخيل كثيرة ويمر بها نهر النيل أيام زيادته وهى مسورة .

(١) قاموس اقلاديوس (ص ٩٢٠) تأليف ليب اقلاديوس .

وذكر المقرئى المؤرخ فى خططه أن بلبس فى التوراة أرض جاشان قال : وهى من بلبس إلى العلاقة وفيها عدة بساتين وأهلها ذوو يسار ونعم سنية .

وورد فى قوانين ابن ممتى وفى تحفة الارشاد من أعمال الشرقية ووردت فى معجم البلدان بلبس (بفتح الباء) قال : والعامه تقول بلبس مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام .

وكانت بلبس قاعدة الخوف الشرقى أيام العرب ثم قاعدة الأعمال الشرقية من أيام الدولة الفاطمية إلى آخر الحكم الجركسى (دولة المماليك) ، ثم قاعدة الولاية الشرقية إلى سنة (١٨٣٢) ، وفى تلك السنة أصدر محمد والى مصر أمراً بنقل ديوان الشرقية والمصالح الأخرى إلى مدينة الزقازيق لتوسطها بين بلاد المديرية ، وبذلك أصبحت بلبس قاعدة لقسم بلبس الذى أنشئ فيها بدلاً من ديوان المديرية ثم سمي مركز بلبس سنة (١٨٧١) (١)

* * *

(١) القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة (١٩٤٥) تأليف محمد رمزى .

الباب الثالث

بليس بلد الرسل والأنبياء والصحابة

بليس بلد الأنبياء والرسل والصحابة

تشرفت بليس بضيافتها لبعض الأنبياء والرسل فمنهم من زارها ومن اتخذها مسكناً ومقاماً ، ومنهم من ولد فيها .
لقد مر بها سيدنا إبراهيم وزوجته هاجر .
وجاء سيدنا يعقوب واستقر بها وتوالد من أسرته أولاده .
أما سيدنا يوسف فقد سبقه في المجئ إلى مصر ، وأنه هو الذى أرسل والده سيدنا يعقوب للمجئ إلى مصر ويسكنه أرض جاشان .
أما سيدنا موسى فقد ولد فى منطقة جاشان .
وسنرى أيضاً أن سيدنا عيسى عليه السلام مر بها وأمضى ليلة هادئة .
أما الصحابة رضى الله عنهم فهم كثيرون فقد جاء بعضهم مع عمرو بن العاص وبعضهم جاء ليستقر بها .
وإن بليس لتفخر كل الفخر بمجئ السيدة زينب رضى الله عنها إليها حيث استقبلت أحسن استقبال .

* * *

بليس بلد الأنبياء

● سيدنا إبراهيم :

المعروف تاريخياً أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام جاء إلى مصر ومكث فيها بعض الوقت ، وكان أن منحه ملك مصر بعد أن عرف إيمان إبراهيم بربه وإخلاصه لربه منحه الملك هدايا كثيرة ، ومن أهمها أن أعطاه هاجر الأميرة المصرية ، والتى أصبحت أم سيدنا إسماعيل عليه السلام جد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

لقد تشرفت الشرقية بمقدم أبى الأنبياء سيدنا إبراهيم فنراه يستقر بعض الوقت

فى أواريس ، وهى مدينة صوعن أيام الهكسوس ونحن نعرف أن صوعن إحدى مدن الشرقية والمجاورة لمنطقة جوشن والتي عاصمتها بليس .
وجاء أيضاً : « خرجت هاجر من أواريس » .

وجاء أيضاً : « كان إبراهيم ولوط واليعازر الدمشقى وبعض أتباع إبراهيم يطوون الأرض هابطين إلى مصر وتجاوزوا الحدود التى تفصل مصر عن سيناء ودفعوا ما طلب منهم من مكوس .

ثم انطلقوا من جوشن حتى بلغوا منديس فإذا ققط معنطة وتماثيل كثيرة لققط وإذا الناس ينظرون إلى هذه الققط نظرات تقديس فلاح الدهش فى وجوه القادمين من فلسطين ورأوا تماثلاً للاله باستت إلهه المرح ، وكان رأسها رأس قطة فقتنوا إلى سر تقديس القوم للققط .
وجاء أيضاً :

« واستأذن إبراهيم فى الرحيل وأعطى الملك إبراهيم أنعاماً وهدايا وخيرات وفيرة ، ووهب لسارة امرأة سيدنا إبراهيم هاجر ، وانطلقت قافلة إبراهيم من أواريس (١) .

كما يوجد نقش وجد فى بنى حسن يبين وصول أحد زعماء البدو مع أسرته فى شرق الدلتا عندما أصابها القحط فرما كان إبراهيم عليه السلام هو الذى جاء فى عصر الملك سنوسرت (ميزو ستريس) أحد فراعنة الأسر الثانية عشرة .

* * *

سيدنا يعقوب فى بليس

نزل سيدنا يعقوب هو وأولاده أرض مصر بناء على طلب ابنه سيدنا يوسف الذى كان وقتئذ وزيراً لفرعون ، واختار سيدنا يوسف لأبيه منطقة جوشن (٢) ، وهى منطقة بليس ومكث يعقوب وأولاده ومن تناسل منهم سكناً بهم هذه المنطقة حتى خروجهم من مصر .

(١) أواريس : كانت عاصمة لمصر أيام الهكسوس ، وهى قرية من صوعن كان اسمها الهيروغليفى « حات أورات » عم أورات ثم أواريس أيام اليونان ثم أفاريس .
(٢) سنيين أن جوشن هى بليس (انظر : جوشن فى الفصل الخاص بها) .

لكن لماذا اختار سيدنا يوسف منطقة بليس ؟

هناك أقوال عدة نيينها فيما بعد :

١ - يقول بعض المؤرخين إن هذه المنطقة قريبة من فلسطين التى جاءوا منها فلو حدث حادث لهم فى سهل عليهم الرجوع إليها .

٢ - كان سيدنا يعقوب هو وأولاده يعبدون الله بينما كان المصريون وثنيين فهناك اختلاف بينهما فى الدين وطقوسه فأراد سيدنا يوسف أن يبعدهم ليكونوا أحراراً فى ممارسة طقوسهم الدينية .

٣ - كانت منطقة جوشن (بليس) منطقة مراعى ويمكن أن يستوعب الأغنام والمواشى التى كان يرعاها قبيلة سيدنا يعقوب وخصوصاً أن هذه المنطقة كانت واسعة بخلاف داخل المدن المصرية التى لم يكن يسمح فيها بالرعى .

أضف إلى ذلك أن حياة سيدنا يعقوب كانت حياة بدوية تحتاج إلى الانطلاق فهى لا تتناسب والحياة داخل المدن .

٤ - اهتم سيدنا يوسف بالألا تختلط عائلته بالمصريين الذين يعبدون الأوثان .

٥ - اعتبر المصريون أن كل راعى غنم رجس وذنس وأن رعى الأغنام مهنة حقيرة بينما كان يعقوب ينظر إليها كمهنة شريفة (١) .

٦ - كان الكهنة المصريون لا يلبسون الصوف فكانوا يكرهون الصوف ، ومن يقوم بتجارته بخلاف ما كانت تمارسه قبيلة سيدنا يوسف .

٧ - يقول بعض المؤرخين أن سيدنا يوسف تنبأ بأن قومه سيزداد عددهم مع مرور الزمن ، وليس هناك منطقة يمكن أن تسعهم غير منطقة بليس ذات المساحة الواسعة القليلة العدد وقتئذ .

٨ - أن منطقة جوشن كانت بلداً تصلح للرعى بخلاف ما كان يجاورها من مناطق صحراوية ، ولهذا فضل سيدنا يوسف هذه المنطقة على غيرها فاختر منطقة بليس .

يقول مؤلف كتاب طويق الخروج :

(١) الأسفار التاريخية دراسات فى اللغات .

إنه فى الغالب أن وادى الطميلات لا يمكن أن يمد مواشى يعقوب بالمراعى الكافية ، ولهذا كانوا يتجهون إلى الجهات الصالحة للمراعى ، ولم يكن هناك غير المنطقة التى تقع الآن الزقاريق وبلبيس وأبر حماد (١)

* * *

سيدنا يعقوب ينزل فى جوشن

جاء فى التوراة - فى سفر التكوين اصحاح (٤٧) ما يأتى :

« فأتى يوسف وأخبر فرعون ، وقال أبى وأخوتى وغنمهم ويقرهم وكل ما لهم جاءوا من أرض كنعان وهو ذا هم فى أرض جاشان ، وأخذ من جملة اخوته خمسة رجال ، وأوقفهم أمام فرعون فقال فرعون لإخوته : ما صناعتكم . فقالوا لفرعون : عبيدك رعاة غنم نحن وأباؤنا جميعاً ، وقالوا لفرعون جئنا لتغرب فى الأرض إذ ليس لغنم عبيدك مرعى لأن الجوع شديد فى أرض كنعان فالآن ليسكن عبيدك فى أرض جاشان ، فكلّم فرعون يوسف قائلاً : أبوك وأخوتك جاءوا إليك أرض مصر قدامك فى أفضل الأرض أسكن إياك وأخوتك ليسكنوا فى أرض جاشان ، وإن علمت أنه يوجد بينهم ذور قدرة فاجعلهم رؤساء مراشى على التى لى » .

جاء فى كتاب فراعنة الكتاب المقدس :

« جاء فى رسالة يرجع تاريخها إلى السنة الثامنة من حكم منفتح فرعون مصر أنه كان لجماعة الإسرائيليين الحق فى تلك الفترة أن ينتقلوا من الصحراء إلى أرض جاشان لرعاية مواشيهم فى رحاب فرعون مصدر الخير لكل الشعوب ، ويكفيها لهذه الرسالة يمكن الإشارة إلى عبارة جاءت فى نقش لمنفتح هذا فى الكرنك تقول « إن الأرض جوبا بيلوس (بلبيس الحديثة) لم تكن متزرعة بل تركت مرعى للماشية بسبب الغرباء النازحين وقد هجرت من عهد الأسلاف » .

والمرجح أن هذه العبارة تعنى أن الأرض لم يسكنها الفلاحون المصريون بل تركت للعبرانيين ومن إليهم من خليط قبائل البدو الآسيوية (٢)

(1) The Route of the Exodus

انظر أيضاً : اصحاح (٧/١)

(٢) فراعنة الكتاب المقدس بقلم حبيب سعيد (ص ٧٦)

ومن هنا نبين أن سيدنا يعقوب وأولاده وأحفاده حتى موسى عليه السلام هو وأخوه هارون سكنوا جميعاً منطقة جوشن التي هي منطقة بلبس فأصبحت مدينة بلبس بحق بلد الأنبياء والمرسلين .

* * *

لماذا سكن يعقوب ؟

١ - لكن هل كان هناك فاصل بين جوشن وباقي المدن المصرية أو بمعنى أصح هل كان بين منطقة بلبس وباقي مدن مصر فاصل وحدود بحيث لا يتصل ساكنوا بلبس بساكني مدن مصر الأخرى ؟ الحقيقة لا لأن الاتصال كان مستمراً ، ولم تكن العزلة عزلة تامة إذ كان عدد الإسرائيليين يزداد وكلما زاد عددهم زحفوا نحو المدن المصرية .

٢ - أمر الإسرائيليون نساءهم بأن يقتربوا حلياً ومجوهرات النساء المصريات لمدة دون أن يطلعوهن على نواياهم الخبيثة وهي سرقة هذه المجوهرات والهرب بها من مصر ، وهذا يدل على أن الإسرائيليين سكنوا قريباً من المصريين واختلطوا اختلاطاً مكنهم من التعامل والإقتراف ، وقد آمن المصريون لهم ولكن الإسرائيليين كانوا خونة .

تقول التوراة في سفر الخروج (٢٢/٣) : « وأعطى نعمة لهذا الشعب في عيون المصريين » ، فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن قرينة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبون المصريين .

٣ - كان موسى وهارون يذهبان إلى فرعون ليناقشاه في الأمور الدينية ، وهذا يدل على أن الإسرائيليين كانوا يسكنون مع المصريين ، وكان يوم الزينة دليل ظاهر على وجود الإسرائيليين في مصر ويعيشون بين أهلها .

ولقد تعلم الإسرائيليون كثيراً من مصر وأخذوا الكثير من العادات المصرية مثل الختان والتطهر من الجنابة ، وقيل دخول المعبد وغيرها .

* * *

موسى = سيدنا موسى

هل هو مصرى أم يهودى (إسرائيلي)

نحن لا ننكر أن سيدنا موسى عليه السلام يهودى الديانة فهو ابن لوالدين يهوديين من قبيلة لاوى .

وكما جاء فى التوراة وكما جاء فى القرآن ولم يكن وثنيا كما كانت ديانة المصريين .

لكن المؤرخين يقولون إنه مصرى المولد والنشأة والتربية ، وقال بعضهم أن كلمة موسى لفظة مصرية شاع استعمالها بمعنى الوليد أو الولد وكان الاسم يطلق مجرداً أو مقروناً بأسماء آلهتهم فى أسماء مركبة مثل رع موسى ، وبتاح موسى أى وليد رع ووليد بتاح ، وقد عرف هذا النظام فى الأسرة التاسعة عشرة^(١) .

لكن التوراة خالفت ذلك التفسير وقالت إن كلمة موسى : تعنى المنتشل من الماء حيث أن موسى قد انتشل من النهر بعد إلقائه .

على أن بعض المؤرخين يردون على ما جاء فى التوراة بقولهم إن المصريين يسمون الماء « مو » ، ويقولون للذى يستنقذ من الماء أوسيس .

أما كلمة المنتشل الذى جاءت به التوراة موشه^(٢) فلم يعرف إلا فى الأسرة الثلاثين ، وهذا ما نسميه بالتحريف الذى جاءت به التوراة أى أنها أطلقت على موسى بأنه المنتشل ، وهذا المعنى عرف فقط بعد مولد موسى بحوالى ألف عام ، وهذا يدل على أن التوراة التى بين أيدينا كتبت بعد موسى بحوالى ألف عام أما التوراة التى نزلت على موسى فلم يعثر لها على أثر حتى اليوم .

كذلك لم يكن موسى هو الاسم الذى أخذه اليهود فى لغتهم بل استعملوا أسماء مصرية مثل بنحاس وحفنى وبوتى إيل « فوطثيل » ، وكذلك شاعت بينهم أسماء نساء مثل مريم وسوران^(٣) .

(١) مصر فى القرآن والسنة (ص ٨٨) .

(٢) موشه هو معنى موسى فى التوراة .

(٣) مصر فى القرآن والسنة (ص ٩٠) .

موسى - أين ولد

يرى بعض المؤرخين أن موسى عليه السلام ولد فى رعمسيس عاصمة رعمسيس الجديدة التى انتقل إليها (١) . وأن مولده فى أرجح الظن قد وقع بعد العام العشرين من حكم رعمسيس حين استقر فى عاصمته فى أعقاب حروب طويلة . ويكون سيدنا موسى ولد فى منطقة الشرقية أو منطقة جوشن والتى أصبحت بليس عاصمة لهذه المنطقة .

يقول القرآن الكريم :

﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن أقذفه فى التابوت فأقذفه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني ﴾ (٢) .

* * *

الآيات القرآنية

- ١ - يقول الله تعالى : ﴿ قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى ﴾ (٣) .
 - ٢ - يقول أيضاً : ﴿ اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على وجه أبى يأت بصيراً وآتونى بأهلكم أجمعين ﴾ (٤) .
 - ٣ - ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ (٥) .
 - ٤ - ﴿ وإذا أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم ﴾ (٦) .
 - ٥ - ﴿ إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى أن أقذفه فى التابوت فأقذفه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عيني ﴾ (٧) .
- وهذه الآيات كلها تدل على أن موسى كان بمنطقة جوشن ، والتى هى بليس .

(١) انظر الكلام على مدينة تر رعمسيس .

(٣) سورة طه آية : ٥٩ .

(٢) سورة طه آية : ٣٩ .

(٥) سورة البقرة آية : ٥٠ .

(٤) سورة يوسف آية : ٩٣ .

(٧) سورة طه آية : ٣٩ .

(٦) سورة البقرة آية : ٥٠ .

سيدنا عيسى عليه السلام فى بلبس

كانت فلسطين أمام مولد سيدنا عيسى تحت حكم ملك ظالم اسمه هيرودس ، وقد أخذ يقتل جميع الأطفال المولودين فى عصره لأنه رأى فى المنام أن طفلاً سيولد وسينزع الملك من يده ، وصادف وقت الحلم ولادة سيدنا عيسى وخافت أمه السيدة مريم العذراء على ابنها سيدنا عيسى فتوجهت إلى مصر هرباً من هذا الملك الجبار .

وصل سيدنا عيسى مع أمه إلى مصر واتخذ طريقاً إلى عين شمس ماراً بمدينة بلبس ، وأقام فيها بعض الوقت كما أمضى ليلة أخرى فى بلدة غيثة وكانت تسمى غيثة فى ذلك الوقت واستراح تحت شجرة وحل على هذا المكان بركات هذا النبى ، وسميت شجرة العذراء حتى أن القبط والمسلمين كانوا يفضلون دفن موتاهم فى هذه البقعة ، وجاء ذكر هذه الشجرة فى كتاب رؤية مصرية (١) .

كان جنود نابليون بونابرت يريدون قطع هذه الشجرة لاستعمال أخشابها للتدفئة ولكن فرجئوا أنه عند وضع الفأس لقطع الشجرة - أن بدأ الدم يسيل من الشجرة، فخاف الجنود وارتاعوا وتوقفوا عن قطعها فى الحال (٢) .

ثم غادرت السيدة مريم مدينة بلبس هى وابنها سيدنا عيسى ، وقد حلت على أهل بلبس البركة والخير ، واتجهت إلى منية جناح ومنها إلى سمند .

ولزيادة الإيضاح عن هذه الرحلة ينقل ما جاء بشأن رحلة السيدة مريم وابنها .

« جاء المسيح عيسى بن مريم إلى مصر وعمره لا يتعدى شهوراً قليلة فى صحبة والدته السيدة مريم العذراء ويوسف النجار طلباً للنجاة من الملك هيرودس الذى كان ينوى إهلاك المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، وكان هناك طرق ثلاثة اتخذت مريم أسهلها وأمنها ذلك هو طريق الشمال ، وهو طريق الفرع البلوزى وسارت آخذة طريق بلبس بمحاذاة الترعة القديمة بين النيل والبحر الأحمر بمحاذاة

(١) العائلة المقدسة تأليف د . رؤوف حبيب (ص ٤) .

R Visions E . Par R. Uralion P . 92 .

ترعة الإسماعيلية الآن ثم سارت إلى بابلليون (القلعة الرومانية) بمصر القديمة إلى منف (ميت رهينة الآن) (١) .

الطريق الذى سلكه سيدنا عيسى عند مجيئه إلى مصر هناك ثلاث طرق تؤدى إلى الوصول إلى مصر لكن أسهلها هو طريق الشمال .

كان طريق الشمال هو الذى سارت فيه القوافل والحملات العسكرية المصرية والبابلية القديمة ، وسماء الكتاب المقدس طريق أرض فلسطين وهو أسهل الطرق ، وهذا الطريق يمر بغزة ثم رفح « رافيا » قديماً ، وثم العريش « أرنوكلورا قديماً » ، ثم جرة على ساحل بحيرة سبريونيس « البردويل » (٢) ، ومنها إلى الفرما جنوب بورسعيد وشمال القنطرة ، ثم بلدة زارو (٣) ، ثم تحفتيس وهى تل الدفنه الآن إلى فاقوس على فرع النيل البيلوزى (بحر البقر) الآن ، ومنها فى اتجاه الجنوب إلى بابلليون « مصر القديمة » ، عن طريق اتريب أو عن طريق بلبيس بمحاذاة القناة القديمة بين النيل والبحر الأحمر بمحاذاة ترعة الإسماعيلية الآن ، ثم بابلليون القلعة الرومانية بمصر القديمة ، ثم إلى منف (ميت رهينة الآن) .

جاء فى كتاب سياحة « انطونيوس » بعد أن عبر شبه جزيرة سيناء وصل إلى سرييوم ، ثم أقليم المستنقعات والبحيرات ، ثم غرباً مع القناة القديمة من البحر الأحمر والنيل ومنها إلى بيتوم ، ثم تل الرطابة قرب التل الكبير فوادى الطميلات ، ومنها إلى مدينة « أون » « عين شمس » الحالية ، ثم منف ، ثم أسيوط .

فإذا كان المسيح قد اتخذ طريق القناة التى توصل بين البحر الأحمر والنيل فمعنى ذلك أنه قد سار مع هذا الطريق ، وهو الذى يمر ببلبيس وهذا يرجح أن سيدنا عيسى عليه السلام مر بمدينة بلبيس .

* * *

(١) مجلة المصور ٢٣ إبريل (ص ٨٢) .

(٢) البردويل : بحيرة كانت منطقتها تحت حكم بلدوين ، ولما انتصر صلاح الدين على الصليبيين أطلق المسلمون عليها اسم بحيرة البردويل بدلاً من « بلدوين » .

(٣) زارو : قد تكون بلدة نارو وتقع مكان القنطرة .

رحلة العائلة المقدسة فى مصر

بقلم : البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية

عاش السيد المسيح فى فلسطين ، لم يغادرها إلى أى أقليم آخر ، والإقليم الوحيد الذى انتقل إليه غير أرض موطنه هو مصر ، أتى إليها فى طفولته مع السيدة العذراء مريم والدته ، ومعهما يوسف النجار .

كان السبب هو أن جماعة من المجوس أتوا من المشرق إلى أورشليم « القدس » بعد مولد السيد المسيح بقليل . وقالوا : « أين هو المولود ملك اليهود ، فإننا رأينا نجمة فى الشرق ، وأتينا لنسجد له » ، فخاف هيرودس الملك ، وحسب هذا المولود منافساً له ، ولما لم يستدل عليه أمر بقتل جميع أطفال بيت لحم ، البلدة التى ولد فيها المسيح لعله يكون ضمن هؤلاء المقتولين ، وهكذا انتقلت العائلة المقدسة كلها إلى مصر ، بناء على رؤيا مقدسة وأمر إلهى .

أتوا إلى مصر من الشرق طبعاً مارين على العريش والفرما ، ولم يسيروا فى خط واحد يمكن تتبعه ، ولم يستقروا فى مدينة واحدة ، وكانت المدن الكبيرة التى مروا بها حوالى عشرين مدينة أو منطقة غير القرى العديدة التى فى الطريق ... كما كانوا يعبرون النهر إلى الشرق أحياناً ، وإلى الغرب أحياناً أخرى .

ونستطيع القارئ عذراً - من أجل تسهيل الموضوع عليه - أن نذكر كل تلك الأماكن بأسمائها الحالية على قدر الامكان حتى لا يرتبك فى أسماء كثيرة لا يعرفها ، وغير موجودة على الخرائط الحالية إننا لا نريد لهذا المقال أن يكون موضوعاً علمياً بحثاً إنما نريده مبسطاً على قدر الإمكان .

رحلة العائلة المقدسة شملت مناطق فى الوجه البحرى ، وأخرى فى الوجه القبلى أقصى ما وطأته تلك الأقدام المقدسة فى شمال مصر كان العريش شرقاً ، ومدينة سخا غرباً (من محافظة كفر الشيخ) وأقصى ما وصلوا إليه جنوباً كان محافظة أسيوط (جبل قسقام ، وربما جبل أسيوط أيضاً) .

وهكذا تقდست كثير من بلاد مصر ، بزيارة المسيح والسيدة العذراء .

* * *

رحلة سيدنا عيسى إلى مصر ومجيئه إلى بلييس

جاء في مجلة الهلال بشأن رحلة سيدنا عيسى إلى بلييس ما يأتي :
ومن مسطرد انتقلت العائلة المقدسة شمالاً بشرق إلى بلييس ، واستظلت عند
شجرة عرفت باسم شجرة العذراء مريم ، وصارت أسقية فيما بعد ومرت العائلة
المقدسة على بلييس أيضاً في رجوعها .
وجاء أيضاً بشأن رجوعه إلى فلسطين ما يأتي فمثلاً مرت الرحلة على بابليون
ومسطرد وبلييس ، ولم تكن محتاجه أن تدخل في الدلتا إلى سمنود وإنما من
الممكن أن تتجه من بلييس مباشرة إلى الفرما والعريش (١) .

* * *

عمرو بن العاص في مصر

دخل عمرو بن العاص مصر سنة (٦٤١م) على رأس جيش المسلمين يشر
الدين الإسلامي لكن الروم قاتلته فاضطر إلى قتالهم دام القتال نحو شهر كان
النصر حليفاً للمسلمين ، وقد عامل عمرو بن العاص أهل بلييس معاملة حسنة
كان له الأثر الجليل عندهم وعرفوا كيف تكون معاملة الناس فأحبوه وعاونوه ضد
الرومان .

* * *

السيدة زينب في بلييس

السيدة زينب رضي الله عنها هي بنت الإمام على كرم الله وجهه . وهي حفيدة
سيدنا محمد ﷺ ، وأما السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ
ولدت السيدة زينب رضي الله عنها في السنة الخامسة من الهجرة أي سنة
(٦٢٦م) ولما كبرت خطبها ابن عمها عبد الله الصحابي الجليل .
وقفت تجاهد في سبيل الله وتدافع عن الإسلام ، ووقفت مع أخيها سيدنا الحسين
موقف العظماء وأظهرت من الشجاعة والبطولة ما جعلها من الأبطال العظماء .

(١) مجلة الهلال - يناير (ص ١٩٨٦) .

وكتاب العائلة المقدسة في مصر تأليف د . رؤوف حبيب .

مكثت في المدينة المنورة بعض الوقت ولكن رغبت في أن تختار مصر سكناً لها فوصلت مصر سنة (٦١ هـ) ، وقد استقبلها أهل مصر بالترحاب وخرج المصريون يتقدمهم الولاة والفقهاء والعلماء ليستقبلوها بما يليق بمكانتها، وكان ذلك عند بلدة العباسية ، وكانت هذه القرية على طريق مصر والشام شرق مدينة بلبس (١) .

ثم واصلت السير إلى بلبس وقام أهلها يستقبلونها بالحفاوة والتهليل يتقدمهم مسلمة بن مخلد وإلى مصر وبعد أن استراحت مدة من الزمن واصلت السير إلى القسطنطينية (القاهرة الآن) واتخذت مكانها المعروف الآن وعاشت ما يقرب من سنة ثم توفيت سنة (٦٢ هـ / ٦٨٢ م) ، وما زال مسجدُها قائماً ومعروفاً في الحي الذي سمي بحي السيدة زينب رضي الله عنها (٢) .



(١) رسائل الجيب الإسلامية - السيدة زينب رضي الله عنها (ص ٤٦) .
(٢) السيدة زينب رضي الله عنها - تاريخ حياتها تأليف علي أحمد شلبي .

الباب الرابع العلماء والرحالة

العلماء

ظهر من بين أهل بلييس علماء أفاضل قاموا بخدمات جليلة فى النواحي المختلفة سواء كانت دينية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ، وستفصل تاريخ بعض هؤلاء العلماء على سبيل المثال لا الحصر :

الشيخ عبد الله الشرقاوى

ولد الشيخ عبد الله الشرقاوى سنة (١١٥٥ هـ / ١٧٤٢م) فى بلدة القرين التابعة لمركز بلييس ثم انتقل إلى القاهرة ليحصل على تعليمه فى الأزهر الشريف ، وبعد تخرجه أخذ يرقى فى مناصب عدة وتوفى سنة (١٢٢٧ هـ / ١٨١٢م) .
نشأ الشيخ الشرقاوى فى عهد الأمراء إبراهيم بك وضوان وعلى بك الكبير ثم مراد بك وإبراهيم بك .

وقف الشيخ الشرقاوى يدافع عن حقوق الشعب بكل ما أوتى من قوة فوقف فى وجه مراد بك وإبراهيم بك ، ولو أنه كان يميل إلى السلم وكان يشترك فى المفاوضات بهدف حل المشاكل بالطرق السلمية .

وقد تولى عدة مناصب أهمها :

- ١ - عين رئيساً للمجلس الوطنى الذى أنشأه نابليون بونابرت .
- ٢ - انتخب عضواً فى الديوان العام الذى أنشأه نابليون بمهمة أخرى غير المجلس الوطنى سنة (١٢١٣) ، ثم تغير نظام الديوان وأصبح يتكون من المسلمين فقط فى عهد الجنرال ميتو ، وعين الشيخ الشرقاوى رئيساً للديوان .
- ٣ - وقف يعارض مراد بك وإبراهيم بك عندما قام أهل بلييس بثورة .
- ٤ - وقف يعارض محمد على باشا عندما أراد النصح له .
- ٥ - تولى مشيخة الأزهر .

* * *

الإمام البوصيرى

هو الإمام الجليل العلامة العارف بالله الصادق فى محبة رسول الله سيدى محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صهاج بن هلال الصنهاجى .
كان أحد أبويه من دلاص والآخر من بوصير « وهما يلدان من محافظة بنى سويف » فنسب إليهما ولكن اشتهر بالبوصيرى .

ولد رحمه الله ورضى عنه يوم الثلاثاء أول شعبان سنة (٦٠٨) ، وتوفى سنة (٦٩٥ هـ) ببلده دلاص وقضى زمن طفولته كما يقضيها أصحابه فى تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ، ثم ترعرع فى دراسة الأدب فبرز فى الشعر والنثر ونال محبة الكبراء فولوه بعض الأعمال الكتابية ببليس .

مكث البوصيرى فى ببليس ليمارس عمله ، وفى أثناء ذلك اتصل بإمام العارفين أبى العباس المرسى تلميذ سيدى أبى الحسن الشاذلى فوصلح أمره وخلص لعبادة الله وفتح عليه فى مدح الرسول ﷺ بقصائد من الشعر هو السحر الحلال .

ويروى الإمام البوصيرى عن سبب نظمته برده السنيه والتي نظمها فى حب الرسول ﷺ أنه أصيب بالفالج « الشلل » فاقعده هذا المرض عن العمل فنظمها متوسلاً إلى الله مستشفعاً برسول الله فى شفاء علته وأنه رأى رسول الله فى منامه وتلاها فمسح جسمه بيده الطاهرة ، وألقى عليه برده فأصبح وقد زال ما به وانطلق يمشى كمادته فصادفه رجل صالح يعرفه فسأله عن القصيدة التى نظمها فى مدح الرسول ﷺ ، فدهش لسؤاله لأنه لم يكن أطلع أحد عليها فاستفهمه طريق علمه فقال إنه سمعه يتلوها فى الرؤية على الرسول عليه السلام .

ومن أخذوا عن الإمام البوصيرى أبو حيان واليعمرى وأبو الفتح بن سيد الناس والعز بن جماعة (١) .



(١) البردة المباركة للإمام البوصيرى - كتاب التحرير سنة (١٣٨٢) القاهرة .

الشيخ زكريا الأنصارى

ولد الشيخ زكريا الأنصارى فى بلدة سنيكه التابعة لمركز بلييس ولد حوالى سنة (٨٢٥ هـ / ١٤٢٠ م) ومات (٩٢٦ هـ) .

وعاصر أواخر حكم المماليك وخصوصا عصر قايتباى والغورى وطومان باى كما أنه عاصر الفتح العثمانى لمصر كما أنه عاصر ابن الفارض الصوفى العالم ، ثم اشتغل بالتدريس ثم قاضيا إلى أن أصبح قاضى قضاء الشافعية والملقب بشيخ الإسلام (١) .

وله جامع فى مدينة بلييس باسمه ، وله كتاب القياس فى القرآن . وقد كف بصره قبل وفاته (٢) .

* * *

الشيخ فخر الدين البلييسى

ولد الشيخ الإمام المقرئ فخر الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان البلييسى الشافعى الضرير سنة (٧٢٥) بمدينة بلييس ، وتوفى سنة (٨٠٤) فى زمن حكم السلطان فرج (٣) .

وكان إماما لجامع الأزهر وشيخ القرآن فيه .

* * *

الشيخ القمحاوى

الشيخ محمد القمحاوى محمد كان من العلماء وشاعرا ومتصوفاً سمي بالقمحاوى نسبة إلى بلد أجداده منيا القمح ، وكانت قرية تابعة لمركز بلييس .

ولد القمحاوى فى بلييس واتخذها موطناً له ، وقد تتلمذ على يد الشيخ الحفنى وغيره ، وقد عثرنا على كتاب من كتبه مكتوب باليد يتألف من ثلاثة أجزاء

(١) رسالة ماجستير لأحد طلبة الأزهر .

(٢) تراث مصر فى الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن زكى . وكذلك كتاب الضوء اللامع (جزء ٢/ ص ٤٣٥) .

(٣) النجوم الزاهرة (جزء ١٣/ ص ٢٧) .

تحتوى على نفائس فى أغراض دينية شتى مدعمة بأسانيد صحيحة من الكتاب والسنة ذاكراً منزلة كل حديث ، وله آيات رائعة غزيرة المعانى خصوصاً ما كان فى مدح النبى ﷺ .

يقول الشيخ القمحاوى أنه تعب تعباً كبيراً فى تأليف هذا الكتاب لعدم وجود الوسائل المعينة واشتغاله فى السعى على رزق عائلته لفقره وعسره ، وكان الفراغ من تأليف هذا الكتاب يوم الثلاثاء المبارك الموافق السابع عشر من شهر رجب سنة (١٢٠٦) على يد مالكة العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن الشيخ مصطفى عاشور نور الدين غفر الله له ولوالديه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهله وسلم (١) .

* * *

الشيخ عبد الحليم محمود

ولد الشيخ عبد الحليم محمود سنة (١٩١١) ببلد غينة التابعة لمركز بلبس وبعد أن تخرج من الأزهر الشريف سافر إلى باريس وقال شهادة الدكتوراة ، ثم عين أستاذاً بإحدى كليات الأزهر ، وبقي بها حتى عين شيخاً للأزهر ، ثم توفاه الله وكان رحمه الله عالماً تقياً ورعاً متصوفاً .

* * *

(١) نقلنا هذه الترجمة من كتاب موجود لدى صديقى الأستاذ عباس السيسى مفتش بالمدارس الأولية .

الرحالة

زار مدينة بلبس عدد لا بأس من الرحالة ولحسن الحظ تراهم وقد دونوا بعض ما شاهدوه فكان ما كتبه هؤلاء الرحالة مرجعاً هاماً لتاريخ هذه المدينة التاريخية الباسلة .

ومن بين هؤلاء الرحالة العرب :

١ - أسامة بن منقذ :

الذى جاء من الشام إلى مصر في أواخر دولة الفاطميين في عهد الظافر سنة (٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) .

وعندما استقر في القاهرة قامت الحوادث المؤسفة وقد أصابه منها الشيء الكثير فاضطر إلى أن يرجع إلى الشام ، وأخذ عائلته معه ، ولكنه عندما وصل بلبس لم يتمكن من السير فرجع إلى المنيا في صعيد مصر حيث كانت الحالة أهلاً^(١)

٢ - أحمد الرحالة اليهود واسمه الحاخام مشولام ابن مناحم :

جاء إلى مصر في سنة (١٤٨١) ، وأخذ يصف كثيراً من المدن المصرية وكانت مدينة بلبس ضمن المدن التي وصفها فنراه يقول : انتقلنا من مصر (القاهرة) متخذين الطريق الموصل من مصر إلى غزة وبدأ السير في قافلة من مصر فرصلنا الخانكة ، وهي تبعد عن مصر حوالي ميلين وكانت مدينة محصنة ، وقد أطلق عليها اسم رفيديم^(٢) ، وكان يسكن الخانكة حوالي عشرين عائلة يهودية ثم انتقلنا إلى بلد اسمها شاور ، وهي على مشارف الصحراء وتبعد عن الخانكة ستة أميال ثم غادرنا شاور إلى مدينة كبيرة تسمى بلبس ، وهي محصنة ويطلق عليها جوشن قبل مدينة الخانكة ، ولما وصلناها وكان مساء يوم الجمعة وهو نفس اليوم الذي بدأ رحلته من مصر ، وفي مدينة بلبس تقابلت من بعض اليهود المقيمين بها وكان ثلاثة عائلات ، وهم من كبار رجال الأعمال ، وقد أمضيا ليلة السبت في

(١) أدب الرحلات عند العرب في المشرق تأليف على محسن عيسى مال الله بغداد .

(٢) رفيديم اسم مدينة قديمة منذ أيام الفراعنة لكنها تهدمت وبنيت من جديد تحت اسم الخانكة .

الباب الخامس السياحة في بلبيس

بلييس بلد سياحى

تعتبر بلييس من أهم المدن السياحية سواء للأجانب أو المصريين لأنها منطقة دينية وآثار وصحية .

● لماذا كانت لها الأهمية الدينية :

إن مدينة بلييس كما قلنا تعبر عن تاريخ منطقة قديمة استقبلت الأنبياء والرسل والصحابة الذين تركوا آثاراً لا تنسى ، فكان ولا بد أن تصبح هذه المدينة مزاراً دينياً فقد مر بها سيدنا إبراهيم واستوطن سيدنا يعقوب منطقة جوشن وولد بها سيدنا موسى كما أمضى بها سيدنا عيسى بعض الوقت .

أما فى عصر الإسلام فقد أتى الكثيرون من الصحابة أمثال سيدنا عمرو بن العاص ، ومن جاءوا معه من الصحابة أضف إلى ذلك تشرفت بلييس بمقدم السيدة زينب رضى الله عنها ، واستقبلت باحتفال يليق بمقامها الشريف .

* * *

بلييس منطقة آثار

كانت بلييس منذ نشأتها المركز الإدارى لمنطقة الشرقية ، وظلت هكذا حتى عصر حكم محمد على كما كانت منطقة تلى بسطة المركز الدينى والذى يحتوى على الآثار الكثيرة ، والتى مارلنا حتى يومنا هذا نشاهدها فى هذه المنطقة .

* * *

المساجد

المعروف تاريخياً أن بلييس أول من استقبلت سيدنا عمرو بن العاص وقد أمضى بها ما يقرب من شهر كان خلالها يؤدى هو ومن معه من رجال جيشه - الصلاة - فكانت أرض بلييس أول مصلى للمسلمين فى مصر ثم أنشئ بعد قرن من الزمان جامع السادات ، وقد أنشئ عندما هاجرت بعض القبائل العربية إلى بلييس .

المسجد الكبير أو مسجد المنسى :

أنشئ هذا المسجد أيام العزيز بالله الخليفة الفاطمي وكان كثيراً ما يتردد عليه ،
وقد أنشأ بجواره حماماً كان يستعمله عند زيارته للمدينة حتى أن الخليفة عندما
مرض حضر إلى بلبيس واستخدم الحمام ليجد فيه راحته .

وقد قام بتوسيع هذا المسجد ولي الله الشيخ مصطفى النسي نائب الشيخ عبد الله
الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر وزعيم مصر أثناء الحملة الفرنسية على مصر .



القيسارية

القيسارية : هي عبارة عن شارع مسقوف بالخشب وعلى جانبي الشارع تقام
منار كل منزل مكون من طابقين (دورين) - الطابق الأول (الأسفل) عبارة
عن دكاكين لبيع السلع المختلفة للزبائن .

أما الطابق (الدور) العلوى فيخصص للسكنى سواء لصاحب الدكان أو يؤجر
لشخص آخر .

وهذا الشارع المعروف بالقيسارية يشترط له شروطه :

- ١ - أن يكون عرضه لا يزيد عن طول الخشب .
 - ٢ - أن تكون الطوابق العليا لا تعلو ما يقابلها من الجانب الآخر حتى يكون
السقف متساوياً .
 - ٣ - يعمل بعض مواسير بحيث تصرف مياه المطر .
 - ٤ - يحسن أن يكون السقف من الخشب وليس من الصاج والغرض من السقف
حماية الدكاكين من المطر ومن حرارة الشمس .
- هذا النوع من الشوارع تشاهده في بلاد كثيرة مثل العراق ودمشق .

أما في مصر فتشاهد القيساريات في القاهرة بشارع الخيمية حيث الشارع ما زال
مسقوفاً حتى أيامنا هذه ، وقد أدخل نظام القيساريات في مصر في عصر الفاطميين
ثم انتشر كثيراً في عصر المماليك .

وكان من حسن حظ مدينة بلبيس أن استخدمت هذا النوع من القيساريات ،
وكان بها أهم شارع واسمه شارع القيسارية ويعتبر من أهم معالم مدينة بلبيس وفي
الغالب يكون شارع القيسارية سوق هام لكل مدينة .

موقع استراتيجي ومواصلات :

شهدنا كيف كانت بليس أرض معارك حربية كثيرة نتيجة موقعها الحسن على الطريق الموصل من مصر إلى الشام ، فكان الكثيرون يذهبون إلى تلك المنطقة لمشاهدة قتلاهم أو الاطلاع على أخبار المعارك كما أن هذه المنطقة كانت محط رجال الحجاج كانوا يمضون بعض الليالي في بلدة غيته المجاورة لمدينة بليس .

منطقة : ملجأ للهروب :

نشاهد كثيراً من رجال الدولة والكبراء يفضلون اللجوء إلى بليس عندما تحمل بهم نكبة أو عند خوفهم من لقاء عدو ، وهذا ما شاهدناه عند هروب إبراهيم بك الكبير من وجه نابليون بونابرت .

ويقول الجبرتي المؤرخ : « إن الفرنسيين طلبوا إبراهيم بك بسبب الأمانة للحج ولكن إبراهيم بك أجابهم بأن يحضروا إليه في بليس » .

وجاء أيضاً أنه عندما هرب محمد بك الألفي الكبير واختفى - كان مختفياً بشرقية بليس برأس الوادي عند شخص من العربان .

ويضيف الجبرتي المؤرخ قوله : « ركب بعض العسكر الواردين وخرج محمد على وحسن بك والعساكر والخيالة والرجالة إلى جهة بليس » .



العظماء فضلوا اللجوء إلى بليس

١ - حاتم بن هرثمة بن أعين : (١٩٤ - ١٩٥ هـ / ٨٠٩ - ٨١٠ م)

كان أهالي الحوف وعاصمته بليس قد ثاروا لفداحة الضرائب ولكن الوالي من قبل الخليفة هارون الرشيدى سار إلى بليس ونزل بها ويعد مناقشات صالح أهلها على قيمة الخراج (الضرائب) .

٢ - المطلب بن عبد الله : (١٩٩ هـ / ٨١٤ م)

عندما عين والياً هرب الجردى إلى تاتنيس ، وانضم عبد الله بن العباس بن موسى إلى عباد بن محمد فأواه ، ومنع منه وأقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة إلى الحوف فنزل في بليس ودعا قيساً إلى نصرته ، ثم مضى الجردى إلى تاتنيس .

العظماء الذين فضلوا زيارة بلبيس

الخليفة العزيز بالله الفاطمي :

كان الخليفة قد خرج إلى بلبيس ليتوجه إلى الشام للحرب ولكن أصابته علة ففضل البقاء فيها للشفاء ، وكان يدخل الحمام المقام بالمدينة مراراً ولكن المتية عاجلته ، وتوفي وهو يستحم في الحمام كان ذلك سنة (٣٦٨ هـ) .

وصل الناصر إلى بلبيس ومسك جمال الدين الأستاذار وأخذ ماله وقتله .

عندما ثار بعض النواب على السلطان فرج أرسل تجريدة إلى الشام ، وعلى رأس التجريدة الأمير تماراز الناصري النائب وأقبای وغيرهما ، وخرجوا من القاهرة قاصدين غزة ، وعند وصوله بلبيس أقام تماراز الأمير ومن معه في بلبيس أياماً ثم عاد إلى القاهرة .

وجاد أيضاً وأما السلطان فرح فإنه لما خرج من مدينة غزة سار منها حتى نزل قرية غيتا خارج مدينة بلبيس^(١) .

السلطان المؤيد شيخ :

عندما أراد السلطان مقابلة ابنه الآتي من الشام انتقل إلى بلبيس حيث تمكن من مقابلته لكنه سافر إلى الصالحية حيث ينزل ابنه .

أضف إلى ذلك أن المؤيد شيخ أيام أن كان أميراً لدى السلطان فرح نزل بلبيس وقوبل بالترحاب . وجاء أيضاً « إنه لما علم بوصول شيخ المذكور إلى مدينة بلبيس خرج إليه المطبخ السلطاني وتلقته الأمراء »^(٢) :

عندما انهزم المصريون بزعامة مراد بك فر إبراهيم بك إلى العادلية المجاورة لمدينة بلبيس .

يقول الجبرتي لما انهزم العسكر الغربي حول الفرنسيين المدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوهم ، وركب في الحال إبراهيم بك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا متوجهين إلى العادلية قرية بجوار بلبيس ، ولما استقر إبراهيم بك في العادلية أرسل إلى حريمه ليحضروا^(٣) .

(٢) النجوم الزاهرة (١٣/٥٣) .

(١) غيتا بجوار بلبيس .

(٣) الجبرتي (جزء ٣/ ص ٩٠) .

زيارة إبراهيم باشا لمدينة بلبس :

حضر إبراهيم باشا إلى بلبس هو وجميع من معه من حاشيته وذلك سنة (١٢٣٦ هـ) .

* * *

بلبس منطقة صحية

إن موقع بلبس الجغرافى قد أعطاها ميزة عن غيرها ، وهى تمتعها بالهواء النقى لوقوعها بالقرب من الصحراء الخالية من كل تلوث ، وهذا مما جعل الكثيرين يفضلون قضاء بعض الوقت بها ويقص لنا التاريخ كيف أن حاكم مصر المقوقس أرسل ابنته إلى بلبس لقضاء فصل الصيف بها وكيف أن سيدنا عمرو بن العاص أرسلها إلى أبيها معزرة مكرمة مما جعل المقوقس يشهد بعدل الإسلام وتسامحه .

ونرى أيضاً بعض الخلفاء يعضون بعض أوقاتهم فى بلبس ، وهذا هو الخليفة الفاطمى يعضى فترات من وقته فى بلبس وليستحم فى حمامه المشهور .

أضف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهب بلبس برمال صحية استعملت كحمام شمس يذهب إليها الكثيرون إلى هذه المنطقة كل عام ليستشفوا ويعودوا إلى أوطانهم وقد شفوا .

* * *

الحمامات

يفرض الدين الإسلامى أن يكون الإنسان نظيفاً فى بدنه فالنظافة من الإيمان كما أن الاستحمام واجب فى حالة أن يكون الشخص جنباً وحتى لا يقرب الصلاة إلا إذا كان طاهر الجسم .

كان على الإنسان أن يستحم وعليه أن يستحم مرة كل أسبوع على الأقل كما قال علماء مصر قديماً ثم جاء الدين الإسلامى ، وحث على النظافة والطهارة وأدى كل ذلك إلى إقامة الحمامات العامة فانتشرت فى المدن ، وكان بمركز بلبس حمامات لها شهرة كبيرة ، واشتهرت حمامات بلبس عن غيرها من الحمامات إذ أن بعض الخلفاء كانوا يفضلونها على غيرها ، والدليل على ذلك أن قصصنا المؤرخون أن الخليفة العزيز بالله الفاطمى كان يفضل حمامات بلبس حتى أنه

عندما مرض ذهب إلى حمامات بليس للاستشفاء ومكث بها كثيراً مما دعا بعض المؤرخين إلى القول بأنه مات وهو يستحم ، هذا وبقي مكان الحمام موجوداً للآن ، وكان يعتبر من آثار بليس ، ومن مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية وما دعا إلى انتشار الحمامات بعض الفوائد لإقامة الحمامات منها على سبيل المثال .

١ - كان يستعمل لتجهيز فول المدمس .

٢ - استخراج التراب أو الرماد المستخرج من الوقود ، وهذا الرماد كان يستعمل في البناء ، وكان يقوم مقام الأسمنت في هذه الأيام .

٣ - أن كل ما تبقى من أخشاب أو « رباله » كان تؤخذ إلى الحمام ويلقى بها في النار ، وتقوم مقام الغاز والكهرباء في هذه الأيام . هذا بخلاف أنه مؤسسة تعمل على نشر النظافة الجسمانية .

* * *

الصحراء الشرقية

تقع مدينة بليس غرب الصحراء الشرقية والممتدة حتى البحر الأحمر وهذه الصحراء تؤثر باتساع مساحتها تعطى جواً نقياً خالياً من كل شيء فليس به أتربة أو قاذورات .

هذه الصحراء كانت تستعمل حتى وقتنا هذا كحمام شمس حيث أن الكثيرين كانوا يأتون إلى صحراء بليس ويدفنون بعض أجزاء من جسداهم ليشفوا من أمراض كثيرة أهمها الروماتزم ، وكانت هذه الصحراء تقوم مقام الحمامات الكبرى .

* * *

القنوات المائية في بليس

لقد وهب الله مدينة بليس مركزاً ممتازاً إذ حباها الله بترعتين كبيرتين هما ترعة الإسماعيلية والثانية ترعة الشينى وهما يحدان المدينة فهي تقع بين هاتين الترعتين فكأنهما يقومان بتنقية هواء المدينة ، وهذا من فضل الله على البلدة الطيب أهلها فشكر الله على نعمه .

* * *

الباب السادس طرق المواصلات

الطرق فى منطقة جوشن فى العصور القديمة والحديثة

إن موقع جوشن يعتبر من أهم المناطق الاستراتيجية فى مصر ذلك أنه يعتبر الباب الأول لمصر حيث يقع شرقى الدلتا ، والذي يصل مصر بقارة آسيا .

وكان لا بد على الحكومات المصرية قديماً وحديثاً أن تهتم بهذه المنطقة إذا كان الغزاة يدخلون مصر من هذه المنطقة ، ومن هنا كان على ملوك مصر تحصينها بشتى الوسائل فكانوا يقيمون الأسوار والحاميات وكانوا أيضاً يقيمون الطرق التى تصلح لسفر الجيش المصرى عند غزوه للدول الأجنبية .

كان الفراعنة يقيمون عاصمة ملكهم فى منطقة جوشن فأقاموا رعمسيس وأواريس وغيرها .

كذلك أقاموا الحصون والأسوار التى تحمى مصر من الغزاة والهابيين من العدالة .

أما الطرق فاهتم بها ملوك مصر سواء فى عصر الحكم الفرعونى أو الإسلامى .

وستكلم عن بعض هذه الطرق :

أهم الطرق :

١ - الطريق الشمالى إلى رفح .

٢ - طريق يسير شمالاً إلى بئر سبع .

٣ - طريق الجنوب الشرقى إلى العقبة .

٤ - طريق جهة الجنوب إلى العقبة .

٥ - طريق الجنوب إلى مناجم الذهب .

٦ - طريق من تانيس إلى قنطير (رعمسيس) وهى فاقوس الحالية إلى بلدة تل هى قرية من بلدة القنطرة الحالية ، ثم إلى رفح ، وهذا الطريق لم يسلكه اليهود

وقت هروبهم إلا أنه طريق تاريخى ، وهو الذى استعملته الحكومات الحالية عند إنشاء خط سكة حديد مصر / فلسطين .

وقلنا إن اليهود لم تسلكه لأنه قريب من الحصون المصرية ، والتي كان تحت التفتيش والمراقبة المصرية .

٧ - هناك طريق جهة الشمال ، وهو الذى مر به سيدنا إبراهيم عليه السلام كما مر به سيدنا يعقوب ^(١) ألا وهو طريق شور ، ويقع بين بحيرة التمساح وبحيرة الحولة .

طرق داخل مصر :

كانت هناك طرق عديدة داخل مصر ، وقد عمد الأعداء لاستخدامها فى غزواتهم على مصر ، وكان من أهم هذه الطرق هى :

١ - طريق الإسكندرية القاهرة ، وكان طريقاً مائياً يسير فى إحدى فروع النيل .

٢ - طريق دمياط وكان قليلاً ما يختاره الغزاة ، ولو أن دمياط كانت من أهم الموانئ المصرية ، ولو أن الصليبيين قد استعملوه ، ولكن لهذا الطريق عيوب منها وقت الفيضان أو قلة الفيضان مما يعيق الملاحة .

٣ - طريق يبدأ من بلور والفرما حتى مدينة بلبس ، ولهذا الطريق ميزات :

(١) أقصر من الطريقين الآخرين .

(ب) أقرب الطرق الموصلة إلى القاهرة ، وهى هدف الغزاة فمثلاً إذا وصل الأعداء إلى بلبس ، والتي تقع على هذا الطريق ، فإن العدو يكون قد قرب من القاهرة .

يقول الرحالة ستانلى لين بول فى هذا الصدد :

كان لميناء دمياط أهمية كبرى ، ولكنها لم تكن منطقة تصلح للسير منها للقاهرة وهى الهدف من الغزو والهجوم على القاهرة .

* * *

(١) التوراة / سفر الخروج (١٧/١٣) ، (٢٢/١٥) ، سفر العدد (١٨/٣٣) .

طريق الإسكندرية / بلبس / غزة

كان المسافر من الإسكندرية إلى غزة - كان عليه أن يسافر أولاً من الإسكندرية إلى بلبس ومن بلبس إلى غزة ثم إلى الشام .

فكانت بلبس ملتقى الطرق بين دولتين مصر والشام أو هي ملتقى قارتين أفريقيا وآسيا أو بين الشرق والغرب .

وما يدل على أهمية هذا الطريق أنه لما أمر السلطان حقمق سنة (٨٤٣م) بإحضار المسجونين وغيرهم من الإسكندرية إلى بلبس لينضموا إلى الجيش ، وندب الأمير استباى الطيارى لإحضارهم سافر إلى الإسكندرية ، وأخذ المسجونين وعاد بهم إلى بلبس ، ومن ثم إلى غزة والشام^(١) .

ويقول بعض المؤرخين: كانت بلبس على الطريق الموصل من مصر إلى الشام . ذلك أن الجيش الذى يريد الوصول إلى القاهرة لا بد أن يأخذ الطريق القديم، وهو الذى يبدأ من بلوريوم حتى بلبس ذلك أن هذا الطريق كان يسلكه الغزاة فى الأرملة القديمة مثل قمبيز والإسكندر ، وكذلك عمرو بن العاص وأملزيك الصليبين . والسبب فى سلوك هذا الطريق وترك طريق دمياط والقاهرة هو أن طريق بلوريوم بلبس ليس به عقبات ولو أنه صحراوى .

إن طريق دمياط القاهرة تسير فى طريق مائية دون شبكات وقنوات كما أن به سدود مقامه للصيد كان يجهلها الغزاة .

أضف إلى ذلك كانت مياه النيل تقل فى بعض الأحيان مما يعرقل الملاحة^(٢) . أهتم الخليفة الفاطمى العزيز بالله بالتجارة الداخلية ، وكانت هناك مراكز هامة مثل مدينة الفرما التى كانت تعتبر مدخل مصر من الشمال الشرقى ، وقد اشتهرت أيضاً بمصائد الأسماك .

وأصبحت بلبس مركزاً لتجارة الغلال ، وكانت تخرج منها قوافل تحمل ما

(١) نقل بتصريف من كتاب النجوم الزاهرة (جزء ١٥ / ص ١٣٢) .

(2) History of Egypt in the Middle Ages .

تأليف ستانلى لين بول .

تحتاجه بلاد الحجاز من حبوب ودقيق كما كانت المحلة الكبرى مركزا لتجارة النسيج والزيت .

يقول الجبرتي المؤرخ :

« أرسل الفرنسيين إلى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو ثمانمائة جمل وذهب في صحبتها برطلمين ، وطائفة من العسكر فأوصلوها إلى بلبيس ورجعوا بعد يومين » .

وهذا ولا شك يدل على أن بلبيس كانت من المدن ذات الأهمية للمواصلات والحركة التجارية .

* * *

البريد

كانت بلبيس من بين أهم مراكز البريد في مصر ، وفي هذا يذكر القلقشندي المؤرخ في كتابه « صبح الأعشى » ما يأتي :

كانت قلعة الجبل مقر إقامة السلطان ، وكانت المركز الرئيسي للبريد يخرج منها المكاتبات والأوامر السلطانية وترد إليها الأنباء .

وكانت طرق البريد الرئيسية هي :

١ - الطريق الأول يبدأ من قوص إلى أسوان والنوبة وعيناب وسواكن ، وهذا في جنوب مصر .

٢ - من قلعة الجبل إلى الإسكندرية .

ويشير القلقشندي إلى طريقين يمكن تشبيههما بالطريق الزراعي والطريق الصحراوي المعروفين في أيامنا هذه إذ أن الطريق الصحراوي كان يمر بوردان ودمنهوور بحذاء الجبل الغربي والآخر وسط العمران ، ويعرف بالطريق الوسطي ، ويمر بقلوب مخترقا وسط الدلتا إلى منوف والمحلة إلى الإسكندرية .

٣ - طريق بلبيس ويبدأ من قلعة الجبل إلى دمياط عن طريق سرياقوس وبلبيس ، ثم دمياط ، ثم إلى غزة وغيرها من بلاد الشام (١) .

(١) منهج الأغشى للقلقشندي (جزء ١٤/ ص ٢٧٣) .

الطريق الذى سلكه اليهود عند هروبهم من مصر

فكر اليهود عند هربهم من مصر أى الطرق أسلم وأسهل لهم . لقد وجدوا أن الطريق السهل عليه حراسة من الجنود المصريين كما كان عليهم أن يبتعدوا عن طريق البحيرات لأنه صعب وطويل ، وقد يموتون جوعاً وعطشاً فوقفوا جامدين لا يدرون ماذا يعملون لكن الله أوحى إلى سيدنا موسى بأن يتخذ طريق البحر سبيلاً .

وفى هذا يقول القرآن الكريم :

﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فأضرب لهم طريقاً فى البحر ييسر لا تخف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ (١) . لكن ما هو الطريق الذى سلكه اليهود من المدن التى كانوا يسكنونها حتى البحر الذى شقه موسى بإذن الله يؤكد بعض المؤرخين أن رحلة اليهود بدأت من مدينة رعمسيس (قنطير) ، وهى فاقوس الآن وساروا فى هذا الطريق حتى وصلوا إلى سكوت ، ثم إلى إيتام إلى بلدة هاممحירות إلى مجدل ، ثم إلى بعل صفون ، ثم إلى شور - يحسن أن يقال مدينة كذا (وهى مكان كذا فى هذا العصر) .

واستند المؤرخون فى قولهم هذا إلى ما جاء فى بردية تقول : « إنهم بدأوا من قنطير ولم يبدأوا من تانيس (صوعن) لأنها أفضل محطة للهروب » .

كما تقول البردية أيضاً إن هناك طريق هو من بلوريوم (الفرما) ، ثم تانيس ، ثم تل الرطابة (٢) .

على أن هناك بعض المؤرخين يعترضون على هذا رأى ، فيقولون إن اليهود عندما أرادوا الهروب وبدأوا رحلتهم تركوا منازلهم من جوشن واتجهوا إلى رمسيس ، ثم سكوت ، ثم ختم (المجدل) إلا أنهم وجدوا أمامهم هذا السور ، وتلك الحصون المقامة على الحدود فغيروا رأيهم واتجهوا إلى طريق آخر وبما عاق طريقهم أيضاً تلك البحيرات الممتدة على طول الطريق (٣) .

(١) سورة طه آية : ٧٧ ، والآية : ٧٨ .

(٢) انظر : الرحلة فى سفر الخروج (٣٧/١٢) ، (٥/١٣) ، (٢/١٤) ، (٢٢) ، (٢٢/١٥) ، (٧/١٢) .

(٣) تأليف سايس monwment ، وسفر الخروج (٢/١٤) .

ويرى فريق ثالث أن اليهود أرادوا السير بحذاء البحيرات المرة حتى لا يضطروا إلى السير فى الصحراء لمدة ثلاثة أيام بدون ماء فقد يهلكون جوعاً وعطشاً كما أن الطريق ضيق لا يتناسب وعددهم هم ومواشيهم التى كانت معهم ، ولذا غيروا رأيهم .

وهذا الطريق هو الذى استخدمه الرومان بعد الميلاد عند غزوهم مصر .

* * *

المواصلات البحرية

نهر النيل وفروعه فى العصور القديمة .

كان لنهر النيل فروع كثيرة ، ولكن كان من بينها خمسة أفرع رئيسية وهى :

١ - الفرع البيلورى : وكان صالحاً للملاحة حتى عهد استيلاء العرب على مصر ، وكان هذا الفرع موضع بحير موسى الموجود فى الزقاريق وكذا موضع مصرف بحر البقر .

٢ - الفرع الثانيسى .

٣ - الفرع المنديسى مكان البحر الصغير الآن .

٤ - السبيشى .

٥ - الكانوبى .

تلك هى أهم فروع النيل الكبرى ، وإن كان هناك فروع أخرى صغيرة منتشرة فى أنحاء البلاد تقوم بمهمة الري والملاحة ، وكانت هذه الفروع على شكل قنوات وترع فكانت كالشرايين تقوم بمهمة خاصة إلا أن بعض هذه الفروع الصغيرة ردمت بسبب الإهمال ، وعوامل التعرية ، ومكانها لم ينس لدى رجال العلم ، وظهر ذلك عندما أراد العلماء الاستفادة من هذه الترعة القديمة فأمكنهم تجديدها بحفرها ، وإعادةتها إلى ما كانت عليه قديماً ومثال ذلك ترعة الإسماعيلية وترعة وادى الطميلات وغيرها .

كانت هذه الترع تقوم بخدمات جليلة للرى والملاحة ، ومنها استخدم لربط البحر الأبيض والبحر الأحمر مثل ترعة وادى الطميلات التى وصلت النيل بالبحر

الأحمر فأصبح الأحمر يتصل بالنيل بواسطتها ، ومنها إلى النيل ومن النيل إلى البحر الأبيض المتوسط .

وإذا كان الحال كذلك فإننا لمجد الكثير من هذه الترع التى كانت قد وجدت فى العصور القديمة ، لم يزل آثارها باق ، وإن كان الكثير قد ردم لسبب عوامل كثيرة مثل هبوب الرمال ، وقلة الإصلاح ، وانخفاض مياه النيل أو كثرة الطمي والرواسب .

لكن هذه الترع والقنوات أمكن للرحالة والجغرافيين والجيولوجيين ورجال التاريخ معرفة أماكنهم ، وعمدوا على تبيانها وقاموا بإعادة حفرها للاستفادة منها بتوصيل الماء إليها لتعود كسابق عهدها ، فأصبحت طريق مواصلات مائى وللانتفاع بها فى زراعة المناطق التى تسير فيها هذه الترع ، ومثل هذه الترع ترعة وادى الطمبلات وترعة الإسماعيلية .

والحقيقة أن النيل أوجد لنا هذه الترع المنتشرة فى منطقة الدلتا فخفف علينا مشقة البحث عن ترع جديدة ، وتخطيط جديد ، وكان من نتائج ذلك أيضاً أن استعاد المصري فى الزمن القديم من استخدام كثير من تلك الترع التى كانت موجودة من قبل فأعاد حفرها واستغلالها ، ومن هذه الترع ترعة وادى الطمبلات وترعة الإسماعيلية فالتاريخ يقص علينا أن هذه الترع كانت موجودة فى الزمن القديم ثم ردمت للأسباب التى تكلمنا عنها ، ثم أعيد حفرها ، وأصبحت من بين الطرق المائية الهامة ، وأحب أن أذكر أنه ليس للمسيو دلسيس فخر فى إنشاء ترعة الإسماعيلية إذا كانت موجودة أصلاً ، ولم يقم بشيء يذكر إلا إعادة حفرها فقط بدليل أن تراجان حفر هذه القناة كما بينا ذلك فى موضع آخر من هذا الفصل .

وإثباتاً لهذا الموضوع يقول بعض المؤرخين : « إنه عندما شق النيل مجراه وكون دلتاه كون أحد فروعها فى عصر ما قبل التاريخ وادى الطمبلات ، فقد كان هذا الفرع يتصرف إلى البحر الأحمر ماراً بحوض البحيرات لكن حدثت عوامل جغرافية أدت إلى انقطاع جريان ماء النيل فى هذا الفرع النهري » (١) .

(١) انظر : كتاب السويس (٤٠) .

ومعنى ذلك أنه كان يوجد ترعا ثم ردمت ، ولكن المصريين عمدوا إعادة حفر هذه الترعا .

- ١ - وكانت ترعة وادى الطمبلات من بين هذه الترعا ، والمعروف أن ترعة وادى الطمبلات كانت تبدأ من الفرع البيلورى بالقرب من منطقة بين فاقوس وبلبيس .
- ٢ - كانت ترعة أبو طفلة شمال غرب بحيرة التمساح وتبدأ من أطراف بحيرة المنزلة حتى الصالحية .

٣ - فرع من دفنه يتجه نحو الشرق ، وينبع من الفرع البيلورى ويسير نحو الجنوب الشرقى إلى بحيرة المنزلة ثم إلى الجنوب يصب فى بحيرة التمساح ثم يلتقى بالترعة الحلوة ترعة الإسماعيلية .

* * *

بحيرة المنزلة

لم تكن لبحيرة المنزلة وجود حتى القرن السادس الميلادى إذ كانت أرضا زراعية ينمو فيها أنواع مختلفة من الزراعات ، وكان يسكنها عدد كبير من الناس ، واستمر الحال على ذلك حتى حدث زلزال فى القرن السادس فحدث انخفاض فى تلك المنطقة فتكونت بحيرة المنزلة ، وأخذت مياه البحر المتوسط تطفو هذه المنطقة فغرقت معظم مدن المنطقة ما عدا مدينة تانيس وظهرت وبقيت إلى الآن ^(١) .

* * *

اليسم

اليسم فى اللغة العربية : البحر أو النهر وهو كذلك فى اللغة المصرية القديمة إذ اليسم لفظة سامية عرفت فى المصرية منذ الأسرة الثامنة عشرة حول القرن السادس عشر قبل ميلاد المسيح ، وكان المصريون يطلقون على البحر والنهر وما اتسع لج الماء لفظ اليسم ، ومنه جاء اسم منخفض الفيوم ^(٢) بعد إضافة فاء التعريف فى المصرية إليه .

(١) على ضفاف بحيرات مصر - بحيرة المنزلة ، وبحيرة البرنس بقلم اللواء عبد المنصف محمود (٩) .

(٢) الفيوم : أصل الكلمة يم بمعنى بحر أو منخفض من الماء وهو باللغة المصرية القديمة =

وقد جاء لفظ اليم ثمان مرات في القرآن الكريم ذكر منها ثلاث بمفهوم النهر النيل وأطلق على البحر الذى غرق فيه فرعون خمس مرات ، وبذلك يشير القرآن إلى موضوع معلوم كما يدعو أهله باسمه المعلوم (١) .

واليم فى اللغة العبرية : يطلق أيضاً على النهر ، وعلى البحر فتكون لفظة اليم فى اللغات السامية تأتى فى بعض الأحيان بمعنى النهر ، وفى بعض الأحيان الأخرى بمعنى البحر .

* * *

البحر الأحمر

أطلق اليهود على البحر الأحمر كلمة « يم سوف » بدلاً من كلمة بم Red = البحر الأحمر . إذا فلما أطلق عليه اليهود « يم سوف » أو بحر الغاب أو بحر البوص :

كانت هناك بحيرات كثيرة تمتد من البحر الأحمر على طول الطريق إلى بحيرة المنزلة ، والتي منها الآن البحيرات المرة وبحيرة التمساح - والتي كانت على طول قناة السويس ، وكانت هذه البحيرات الكثيرة ، والتي اندثرت ولم يبق منها للآن إلا البحيرات المرة وبحيرة التمساح - كانت هذه البحيرات مملوءة بالبوص والغابات ، والتي لم تكن الحكومات تعنى بتطهيرها وإزالة هذه الحشائش والغابات منها .

وهذا الغاب والبوص أطلق عليه المصريون القدماء tsufi ثم أخذ اليهود هذه الكلمة وحرفوها ونطقوها باسم suf وأطلق على هذه البحيرات وعلى البحر الأحمر يم سوف أى بحر الغاب والبوص فالمعنى هنا تاريخى وليس حقيقى قالبحر الأحمر اسمه الصحيح Red Sea وليس يم Suf « سوف » لأن البحر الأحمر ليس به بوص أو غاب .

= وإذا أضفنا حرف الفاء فيكون فيم يم فيوم وأضف الـ سم للفيوم وأما الفاء فهو يقال على حرف التعريف « ال » فيكون فيوم Flom = ال + يوم = وينطق فيوم = ال ثم أضف العرب وتصبح الفيوم .

(١) كتاب مصر فى القرآن والسنة ، (ص ٨٧) تأليف د . أحمد عبد الحميد يوسف .

ولما اختفت معظم البحيرات ولم يبق غير بحيرتى التمساح والمرة بقى الاسم يطلق على البحر الاحمر ، وأطلقت عليه التوراة اسم يم سوف أى بحر الغاب والبوص .

لماذا كان الغاب والبوص يكثر فى هذه البحيرات :

قلنا إن الطريق الممتد من البحر الاحمر حتى بحيرة المنزلة ثم العريش والذي هو مكان قناة السويس الآن كان كله عبارة عن بحيرات كثيرة ، وإن كان أكثرها قد اختفى الآن ، ولم يبق منها إلا بحيرة التمساح والبحيرات المرة .

كانت هذه البحيرات مملوءة بالغاب والبوص لأسباب عدة :

١ - كان الغاب متروكاً ينمو بغزارة لأنه يعوق المعتدين على مصر حيث أن هذه البحيرات كانت حواجز طبيعية ، وكان وجود الغاب بها يؤدى إلى تعطيل المهاجمين على مصر بعض الوقت .

٢ - كان الغاب والبوص يستعملان لعمل ورق البردى فكان المصريون يحتفظون بكمية كبيرة منه لاستعماله وقت الحاجة .

٣ - استفاد المؤرخ من وجود هذا الغاب والبوص فى هذه - الجهات - أن خروج اليهود كان من هذه المنطقة ، وليس من البحر الاحمر نفسه لأن التوراة استعملت كلمة يم سوف فى مشكلة الخروج تدل على أنهم عبروا إحدى هذه البحيرات ، ولم يأخذوا طريق البحر الاحمر نفسه .

* * *

قناة السويس

قلنا إن النيل كان له أفرع متعددة ، وكان من أهمها الفرع البييلورى والفرع الثانيسى ، وكان هذان الفرعان يستخدمان فى الملاحة والمواصلات من البحر الأبيض إلى داخل البلاد والعكس .

كما أن البحر الاحمر كان طريق مواصلات وملاحة من الهند واليمن إلى المدن التى كانت مكان السويس الآن .

ولكن لم تكن هناك صلة بين البحر الأحمر والأبيض ، فإذا جاءت سلعة من البحر الأبيض ، وأراد المصريون تصديرها إلى مدن آسيا فكانت تجد صعوبة ، فكانت السلع تفرغ عند أى مدينة على النيل ، ثم تنقل على ظهور الحيوانات إلى البحر الأحمر ، ولكن هذه العملية كانت شاقة فهي تستوعب وقتاً طويلاً ، ومبالغ طائلة وظلوا على ذلك حتى هدى العقل المصرى إلى أن يصلوا النيل بالبحر الأحمر عن شق قناة تبدأ من أحد فرعى النيل ، وتسير شرقاً حتى تصل البحر الأحمر ، ويكون هذا الطريق المائى أفضل من الطريق البرى فهو أقل تكلفة ، وأسرع وقتاً ، وحينئذ اختار المهندس المصرى الطريق الأصلح فوجد أن أحد أفرع النيل موجود إلا أنه قد ردم هذا الطريق المائى هو ترعة وادى الطميلات فحفرها المصريون ، ثم اختاروا أحد فرعى النيل فاختاروا الفرع الثانيسى ، وأقاموا من عند تل بسطة قناة تصل بين الفرع الثانيسى وقناة وادى الطميلات ، فكانت السفن الآتية من البحر الأبيض تسير فى النيل - فرع ثانيسى حتى تصل بوباستة فتتجه فى القناة وتسير فيها حتى تلتقى بقناة وادى الطميلات ، وتسير فيها حتى تصل البحر الأحمر أو البحيرات المرة ، وبقي الحال على ذلك زمناً طويلاً إلى أن جاء أحد الفراعنة فأنشأ قناة على الفرع البيلورى بدلاً من تلك القناة التى كانت تخرج من الفرع الثانيسى ، وكانت هذه القناة تخرج من مدينة فاقوسة .

وبقى الحال على ذلك زمناً طويلاً إلى أن جاء الحاكم الرومانى تراجان ، وأقام ترعة تبدأ من هليوليس وتسير شمالاً حتى تلتقى بالقناة عند بليس .

ولقد كانت هذه الترعة من الأهمية بمكان إذ ظلت صالحة للملاحة ، ثم ردمت ثم حفرت من جديد إلى أن حفرت مرة أخرى أيام حكم الخديوى عباس ، وأطلق عليها اسم الترعة الإسماعيلية أو الترعة الحلوة أما القناة التى تصل البحر الأحمر ، وأحد فرعى النيل فكان يطرأ عليها الكثير من التغير وسنفصل ذلك فيما يأتى .

قناة السويس وما طرأ عليها من التغير :

١ - إن أول عهد بتوصل النيل بالبحر الأحمر كان فى عصر ستوسرت الثالث

(ريستريس) أيام الأسرة الثانية عشر إذ شق قناة في شرق الدلتا ، وتعد هذه القناة أقدم طريق مائي يصل بين النيل والبحر الأحمر (١) .

٢ - عندما اعتلى رمسيس الثانى الحكم نقل عاصمة بلاده إلى منطقة جوشن (شرق الدلتا) ووجه عنايته إلى قناة وادى الطمبلات باعتبارها طريقاً هاماً بين القطر المصرى وآسيا كما أسس فى هذا الطريق مدينة بيتوم وجعلها مخزناً للأسلحة كما شيد هو والمملك سبتى مدينة أخرى هى تل اليهودية .

٣ - إلا أن هذه القناة سرعان ما ردمت بسبب الرمال وقلة اعتناء الحكام الذين أتوا بعد رمسيس الثانى إلى أن جاء الملك نخاو فى الأسرة الخامسة والعشرين ، فقام بإعادة حفر القناة وسير فيها أسطولاً مكوناً من خمسين سفينة قامت من طيبة مختركة النيل حتى وصلت قناة وادى الطمبلات فعبّرتة ، وسارت فى البحر الأحمر إلى بلاد بونت ثم رجعت قافلة محملة بالخيرات . ولو أن هناك خلاف حول حفر نخاو للقناة .

٤ - ولما استولى داراً ملك الفرس على مصر وضع مشروعاً للسيطرة على البحار يتلخص فى حفر أو إعادة حفر القناة القديمة التى تصل النيل بالبحر الأحمر عن طريق الفرع البيلورى بالقرب من الزقاريق مختركة وادى الطمبلات عند السويس ، وقام بحفرها وقد ترك شواهد وأحجار تدل على هذا الحدث العظيم .

٥ - فى عهد بطليموس الثانى أمر بحفر القناة من جديد ، وذلك تخليداً لوالدته وزوجته ، وقد أدخل على القناة بعض الإصلاحات فاستعمل الهويس ، وبقي على ذلك حتى ردمت وكانت تبدأ من فاقوسة على الفرع البيلورى ، وهذه القناة هى التى حفرها من قبل نحاو ثم دارا الاول .

٦ - ولما استولى الإمبراطور أغسطس على مصر طهر القناة وعنى بالتجارة فنشطت الحركة .

(١) انظر : مجلة الإبراهيمية (٤٠٧) نقلاً عن :

Hsitony of Eavypt Pago . 27 c .

وكتاب مصر القديمة تأليف سليم حسن (جزء ٢/ ص ١٧٩) ، وكتاب الحضارة الفرعونية/ جمال مختار (١٠٠٠) .

٧ - قناة تراجان : أمر الإمبراطور الرومانى تراجان سنة (٩٨ - ١١٧م) بحفر قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر ، وكانت هذه القناة تخالف تلك القناة السابقة إذ كانت تخرج من النيل عند بابليون (مصر القديمة) الآن وتسير حتى هليوبوليس وتواصل سيرها حتى مدينة بلبس ، وهناك تلتقى بالقناة التى حفرها بطليموس الثانى فى نقطة قبل التقائها بقناة وادى الطمبلات ، ولكن هذه القناة ردمت بعد ذلك وظلت مردومة حتى الفتح الإسلامى إذ قام عمرو بن العاص بحفرها ، وكانت هذه القناة هى قناة تراجان السابقة ، والتى هى الآن ترعة الإسماعيلية والتى تبدأ من عين شمس (هليوبوليس) وتسير مائة بلبس وتسير حتى الإسماعيلية .

لكن هذه القناة ردمت بفعل الرمال وبالأهواء السياسية إذ أمر بعض الخلفاء العباسيين بردمها لدواع سياسية .

وبعد ذلك قام دلسيس بإعادة حفر ترعة السويس ، وهى الترعة القديمة والحقيقة إن ما يدعيه المهندس دلسيس ليس صحيحاً ، وأن ما قام به هو إعادة حفر القناة فقط (١) .

ونقول إن هذه القناة كانت تبدأ عند منطقة صفيط الحنة لكن تراجان جعل القناة الجديدة تتقابل مع القناة القديمة عند بلبس ثم تسير القناة إلى وادى الطمبلات .

* * *

خليج أمير المؤمنين

قلنا إن تراجان الحاكم الرومانى قام بحفر خليج يأخذ مياهه من النيل قرب بابليون (فم الخليج الآن) بمصر القديمة ، وهذا الخليج يصل بين بابليون والبحر الأحمر ، وكان يسمى قناة تراجان إلا أن هذه الترعة كانت كثيراً معرضة للردم بسبب الإهمال وكان يعاد حفرها .

ولما فتح العرب مصر قام العرب بحفر هذه القناة لكى ينقل القمح من مصر إلى المدينة المنورة .

ويقول الكندى المؤرخ عن هذه القناة .

(١) تاريخ مصر الاجتماعى والاقتصادى (ص ١١٤) تأليف أحمد صادق سعد .

إنه فى (٢٣ هـ - ٦٤٣) كانت القناة تبدأ من بابلون وتسير حتى تمر بمدينة بليس وتسير حتى قناة التمساح ، ثم إلى القلزوم على البحر الأحمر ، وبقيت صالحة للملاحة مدة ثمانين عاماً ، ثم أهملت إلى أن فتحها الخليفة المهدي سنة (١٧٨ هـ) ، ثم ردمت ثم جدد حفرها ديلسبس وكانت تسمى ترعة الحلوة^(١) .

* * *

الخليج المصرى

الخليج المصرى شارع من أهم شوارع القاهرة يشغلها من الشمال إلى الجنوب مخترقاً أحياء لها بتاريخ مصر القديمة صلة وثيقة ، وقبل أن نتحدث عن التطور العمرانى الذى شاهده هذا الخليج منذ نشأته ، وعن تفسير مسميات الأحياء التى تتصل به والحارات التى تنتهى إليه وبعضها يحمل أسماء قديمة يحار فى تحليل اختياؤها من لم يتهياً له الاطلاع على كتب تخطيط القاهرة - قبل أن نطرق شيئاً من هذا سنستعرض تاريخ الخليج المصرى على اعتبار أنه إحدى الحلقات التى وصلت النيل قديماً بالبحر الأحمر ذلك الطريق المائى الذى كانت تصدق النية فى إبقائه فتتناوله يد الحفر ، والتعمير ثم تصدف عنه الرغبة فى تجديده فتطنى عليه رمال الصحراء بالردم والتدمير . وكانت الرغبة فى ربط البحر الأحمر بالنيل تزيد أيام الفراغة كلما اتسعت تجارتهم الخارجية وامتدت بخاصة إلى جنوب البحر الأحمر حيث توجد بلاد بنت (الصومال) الغنية بالأخشاب والبخور والروائح العطرية والأدهنة الجميلة الكثيرة الاستعمال عند الشرقيين وجعل بعض الأثريين مبدأ تجارة مصر مع الصومال فى عهد الأسرة الأولى لكثرة استعمال ملوك هذه الأسرة لخشب المرو ، لكن المرجح أن هذه الأخشاب العطرية أتت عن طريق شاطئ النيل الأزرق والعطبرة ، وأعالى النيل ، ومن الثابت أن ساحورع من الأسرة الرابعة هو أول من أسس المواصلات البحرية مع الصومال عن طريق موانئ البحر الأحمر .

وفى أيام الأسرة السادسة قام حكام جزيرة الفيل بتوسيع العلاقات التجارية مع بلاد بنت والأقاليم الجنوبية للبحر الأحمر . والثابت الذى لا يتطرق إليه شك أنه

(1) Stanly Lane Pole .

لم يكن هناك طريق مائى يربط البحر الأحمر بالنيل إلى ذلك التاريخ بل كانت السفن تبني بميناء على البحر الأحمر قريبة من النيل كالفصير أو لوكس Leucos Limen ومنها تخرج عباب البحر إلى حيث تريد .

ولم نعثر على شئ نستدل منه على تاريخ مضبوط لاتصال النيل بالبحر الأحمر ، فقد ذكر المقرئى حكاية طويلة عندما وفد أبونا إبراهيم الخليل إلى مصر ، وهى أن فرعون الجالس على عرش مصر افتتن بزوجه سارة ، وأن الله قد نجاها من سوء مكروه بما كان يصيبه كلما هم بتنفيذ قصده فرجع عن ذلك ، ولما أراد إبراهيم الرحيل أهدى إليه جارية ثم أراد فرعون إكرامه فحضر ترعة توصل النيل بالبحر الأحمر تسهيلاً للمواصلات مع مكة المكرمة التى كانت تقيم بها هاجر أم إسماعيل . ونجد المرحوم أحمد شفيق باشا فى محاضرة له مطبوعة عن قناة السويس يذكر هذه الرواية بل يعين اسم فرعون ، وإن نرسيى ونحن لا ندرى من هو نرسيى هذا ، ولكننا نذكره على سبيل إثبات كل ما قيل فى هذا الموضوع غير أنه من المحقق أن هذا الاتصال كان قائماً أيام سيزوتريس الثالث Seoostis III فكان ذلك أقدم اتصال بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، ويذكر بعض من كتبوا فى هذا الموضوع أنه هو الذى قام بذلك على أنى أورد هنا ما ذكر برستد (١) ،

This Suez regin & bikewise the guelf of Sues were already Connected with the Eastern Arme of the Nile .

أى إن إقليم السويس وكذلك خليج السويس كانا متصلين بالفرع الشرقى للنيل . فليس فى هذه العبارة التى أوردها برستد ما يدل دلالة قاطعة على أن فرعون هذا هو الذى قام به على وجه التحقيق فى الوقت الذى أبان عن أعماله فى النواحي الأخرى بطريقة لا تدعو إلى الشك والخيرة فكانت هذه القناة تخرج من فرع النيل الشرقى ، وهو الفرع البيلورى (بحر موسى الآن) فى نقطة بجوار بويطة (الزقاريق الحالية) وتسير فى وادى الطمبلات من الغرب إلى الشرق ثم تنثنى فجأة نحو الجنوب فتخترق البحيرات المرة ، وتصب فى بحر القلزم عند مدينة أرسينويه بالقرب من موقع السويس الحالية ، وكانت تسع مركبين متقابلين .

(1) A History of Egypt P , 127 . (Breasted ,) .

ويظهر أن العلاقات التجارية الخارجية قد فترت بعد ذلك الحين لما أصاب مصر من التأخر أيام الهكسوس وبقيت كذلك حتى أحبتها الملكة حتشبسوت فى الأسرة التاسعة عشرة فعندما تولت الملك وقفت يوماً أمام ناووس المعبود آمون فسمعتة يقول : « يجب إعادة فتح طريق الصومال ليتيسر الوصول من هذه الشرفات (شرفات الدير البحرى) إلى بلاد بنت فهذه البلاد المقدسة جميلة وأنا أحبها وما خلقت تلك البلاد إلا لأسرى بها عن نفسى » فقالت الملكة : « وهكذا انجزت كل ما رغب فيه المعبود نزولاً على مشيئته » ، وأرسلت خمسين سفينة قامت من طيبة متبعة نهر النيل حتى شرقى الدلتا ، وهناك عبرت قناة وادى الطميلات إلى البحر الأحمر وعادت محملة بخيرات بلاد بنت (١) .

وفى القرن الثالث عشر قبل الميلاد أى أيام الأسرة التاسعة عشر وجه سبتى الأول عنايته إن هذه القناة ونجد تسجيل هذا العمل العظيم فى نقوش بارزة على الجدار الخارجى الشمالى لمعبد الكرنك بالأقصر ، وهى تمثل سبتى الأول عائداً منتصراً من فتوحه فى سوريا فيجتمع الكهنة وأشرف البلاد يستقبلونه بطاقات الورد والزهور مهئين على ضفة هذه الترفة .

ولما خلفه رمسيس الثانى واتسعت أملاكه فى آسيا ونقل عاصمة ملكه إلى الوجه البحرى وجه رمسيس كثيراً من عنايته إلى قناة وادى الطميلات باعتبارها طريقاً هاماً بين القطر المصرى وآسيا فشىد فى منتصفه مدينة بيثوم Pithum وجعلها مخزناً للحبوب كما شيد هو وسبتى مدينة أخرى فى نهايته الغربية تقع شمال هليوبوليس وتعرف الآن بتل اليهودية (٢) .

وتطلبت المحافظة على قناة وادى الطميلات عدداً من العمال لتعميقها والمحافظة على جسورها ، وكان ذلك ميسوراً أيام أن كانت الدولة قوية فى عهد الأمباطورية المصرية ، وبعد ذلك قلت العناية بها فلم يأت حكم رمسيس الثالث فى الأسرة العشرين حتى طغت يد الإهمال على القناة فلم يبق لها من أثر ، ولذلك اضطر هذا الملك إلى تسير سفنه إلى بلاد الصومال من الثغور الواقعة على البحر الأحمر ، ونقل مشحوناتها عبر الصحراء إلى وادى النيل على ظهور

(1) A History of Egypt . P 274 .

(2) Breasted . 442 .

الدواب إلى قفط ثم شحنت هناك في سفن نيلية إلى مقر رمسيس الثالث في شرق الدلتا .

وفي أوائل القرن السابع قبل الميلاد اعتزم نيخاو بن بسماتيك الأول تجديد حفر هذه التربة ، وبعد أن هلك فيها نحو (١٢٠٠٠) عاملاً توقف عن العمل ، وقد ذكر هيرودتس أن هذا كان نتيجة كارثة لم يصل إلينا شيء عنها ويظن أن المهندسين أخطئوا الحساب فطغى الماء على ما حفر فأزهقت هذه الأرواح البريئة^(١) ، ويقال أن فرعون قد توقف لما أوحى به الآلهة إليه أن ذلك سهل على الفنيقيين فتح البلاد كما روى ديودور الصقلي أن المهندسين نصحوا بعدم حفر تلك القناة خوفاً من غرق مصر لعلو سطح البحر الأحمر عن سطح الدلتا أي أنهم سبقوا مهندسي الحملة الفرنسية في الخطأ الذي وقعوا فيه .

ولما فتح الفرس مصر وتولى داراً الأول زار مصر وجدد حفر هذه التربة وأقام عليها كثيراً من الشواخص الحجرية تخليداً للذكرى هذا العمل المجيد ، وقد جاء على أحدها « أنا فارسي وبمعوة الفرس امتلكت مصر وأنى أمرت بحفر هذه القناة من النيل إلى البحر الأحمر الموصل إلى الفرس ، وقد تم هذا عمراً مائياً بإرادتي ومشيتي » .

ثم أتى بطليموس الثاني سنة (٢٧٧ ق م) فجدد حفر هذا الخليج كما بنى « هويسا » عند مدينة أرسينويه (السويس) يسمح بدخول السفن من البحر الأحمر إلى التربة وخروجه منها سهلاً . وفي القرن الثاني للميلاد نسفت الرياح الرمال إلى هذه التربة فاضطر الامبراطور تراجان (٩٨ - ١٧٧ م) إلى إنفاق الأموال الطائلة في حفر قناة جديدة للملاحة كان مأخذها في جنوب الأولى قليلاً وتمتد من فرع النيل الآتي من مكان بالقرب من القاهرة إلى بلبيس .

الخليج في العهد الإسلامي :

عندما فتح العرب مصر استقدم الخليفة عمر بن الخطاب عمرو بن العاص ومعه جماعة من أهل مصر فلما قدموا عليه قال : « يا عمرو إن الله قد فتح على المسلمين مصر ، وهي كثيرة الخيرات والطعام ، وقد ألقى في روعي لما أحببت من

(1) The Story of Ancient Egypte . D . A . Mochenzky . P . 70 .

الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم أن أحفر خليجاً من نيلها حتى يسيل فى البحر فهو أسهل ما تريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة فإن حملها على الظهر يبعد ولا نبلغ به ما نريد فانطلق أنت وأصحابك فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم » .

غير أن وفد مصر لم يرتح لهذا المشروع وطلب من عمرو تصعيب هذه الفكرة لما توهم من ضرر على مصر فى تنفيذها إلا أن الخليفة أصر على رأيه فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن تحمل الخيرات إلى مكة والمدينة .

وظل هذا الطريق مسلوفاً حتى خلافة عمر بن عبد العزيز ثم ضيعه الولاة بعد ذلك حينما أمر أبو جعفر المنصور بردمه منعاً لإمداد العلويين الذين ثاروا عليه بالمدينة فأهمل وطغت عليه رمال الصحراء ، وانقطع من ذلك الحين اتصاله ببحر القلزم ، وبعد ذلك حفرت ترعة الإسماعيلية سالكة طريق الخليج القديم .

الخليج فى مدينة القاهرة :

هذه هى الصورة العامة مختصرة للخليج خارج مدينة القاهرة أما قصته داخل المدينة فكان يبدأ من النيل بالقرب من شمال مصر القديمة وجنوبى قصر العينى عند السواقى السبع التى كانت توصل المياه من النيل للقلعة ، وهى الآن خلف مركز شرطة فى فم الخليج ، وكان الخليج يسير نحو الشمال الشرقى ، وقبل أن يصل إلى وزارة المالية ينعطف نحو الشرقى الجنوبى حتى السيدة زينب فيعود إلى سيره نحو الشمال الشرقى ماراً بجانب بركة الفيل ، ثم سراى درب الجمايز (مخازن وزارة المعارف الحالية) فتكية الحبانية ، ثم يقطع شارع محمد على ماراً بجانب قصر منصور باشا بميدان باب الخلق إلى أن يقطع السكة الحديدية قرب اتصالها بشارع الموسيقى فيمر تاركاً كنيسة اللاتين وكنيسة السوريان إلى يساره وكنيسة الأقباط إلى يمينه حتى يتصل بسكة مرجوش فيتركها إلى يمينه ، ثم يخترق سور القاهرة عند باب الشعرية ويسير خارج القاهرة إلى شارع الظاهر فيمر تاركاً جامع الظاهر إلى يمينه حتى يلتقى بترعة الإسماعيلية عند مصرف الشبى القديم .



الباب السابع

موقع بلبيس الحربى

موقع بلبيس الحربى حدود مصر الشرقية

كثيراً ما كانت الحروب تقوم بين مصر وجيرانها فى فترات عديدة غير أن معظم هذه الحروب كانت تقع فى شرق الدلتا (١) لأن معظم المغيرين كانوا من جهة آسيا ، وكانت منطقة جوشن هى التى تتحمل العبء الأكبر من ويلات هذه الحروب .

ولكى تحمى مصر نفسها من هذه الجهة الشرقية عمدت إلى إيجاد حاجز يحمى هذه المنطقة من غارات الأعداء فرأت أن يكون الحاجز ممتداً من البحر الأحمر (عند منطقة السويس) الآن على طول الطريق الموصل إلى الفرما (العريش) .

ولما كان هذا الطريق (مكان قناة السويس الآن) يحتوى على كثير من البحيرات ، والتى كانت تقوم بمثابة حاجز مائى يحمى مصر من المغيرين ويعوق تقدمهم لذا لم يبق إلا بناء حصون وأسوار فى الأماكن التى ليس بها بحيرات حتى يكون الحاجز مفيداً براً وبحراً ، ومن هنا عمد المصريون إلى بناء أسوار وحصون على طول هذا الطريق الممتد من البحر الأحمر إلى العريش ، وبذلك أصبح الطريق مكون من بحيرات وأسوار وحصون .

وكانت هذه الحصون والأسوار يقوم على حراستها جنود مصريون ويقومون بالتفتيش والمراقبة لكل من يدخل إلى مصر والخارج منها .

كانت هذه الحصون والأسوار مسبباً فى منع اليهود من الخروج من مصر والهرب لولا أن الله أنقذهم فأوحى إلى سيدنا موسى بأن يتخذ طريق البحر .

ولم يكتف المصريون بهذه الحصون والأسوار والبحيرات بل كانوا يقيمون المدن الحربية بجانب هذا السور المنيع لتكون مخازن للأسلحة الحربية ، ولتكون مساكن

(١) كان الأعداء يفضلون طريق العريش البرى بدلاً من الطرق المائية .

للجيش المصرى ونحن نرى كيف أقام المصريون مدناً عدة لهذا الغرض ، ومن هذه المدن مدينتى بيتوم ورعمسيس وكذلك الرطابة وغيرها من المدن .

* * *

بلييس وموقعها الحربى

لقد أصاب مدينة بلييس الكثيرة من ويلات الحروب إذ كانت محط أنظار الغزاة والفاحين ، وذلك لما كان لها من موقع استراتيجى ولقربها من عاصمة مصر فكان من يستولى على مدينة بلييس ، فإنه فى الغالب يسهل عليه الوصول إلى منتصف العاصمة القديمة أو عين شمس أو إلى القاهرة .

كانت مدينة بلييس تتلقى الضربات تلو الضربات نتيجة الغزوات الأجنبية فإذا بها يموت الكثيرون من أهلها ، ويهلك الزرع والضرع حتى ليقال إن أى مدينة مصرية لم تصب بسوء أكثر مما أصاب بلييس وكل هذا السبب بسبب موقعها الحربى وموقعها على الطريق الرئيسى الموصل بين الشام وفلسطين من ناحية وبين العاصمة المصرية من جهة أخرى .

* * *

بلييس الخط الثانى

كان الرومان يعتبرون منطقة بلييس الخط الثانى فى المواقع الحربية ويقول الاستاذ ستانلى بول (١) :

« جعل الرومان ببلييس الخط الثانى لمقاومة الرومان لجيش المسلمين بقيادة عمرو ابن العاص ، وكانت المسافة من بلييس ومصر (عين شمس) حوالى ثلاثين ميلاً .

* * *

فتح العرب لمصر

وعند فتح العرب لمصر على يد عمرو بن العاص كانت مدينة بلييس أول المدن التى قاومت الفتح ، ولكن بعد وقت قصير تمكن عمرو بن العاص من الاستيلاء عليها .

(١) تاريخ مصر الحديث لجورجى زيدان (ص ٨٢٥) .

عمرو بن العاص فى بلبس

كانت بلبس من أوائل المدن المصرية التى فتحها العرب المسلمون وأصبحت تابعة لهم بعد أن كانت تحت الحكم الرومانى .

جاء فى كتب التاريخ عن فتح المسلمين لمدينة بلبس : كان أول موضع قوتل فيه الفرما (بجوار العريش) وقاتلت الروم قتالاً شديداً نحواً من شهر ثم فتح الله على المسلمين . . . ، ثم تقدم عمرو حتى أتى بلبس فقاتلوه فيها نحواً من شهر حتى فتح الله عليه ، وكان فى بلبس أرمانوسة بنت المقوقس حاكم مصر من قبل الروم ، وكان من أدب المسلمين أن سير عمرو بن العاص ابنة المقوقس إلى أبيها معزرة مكرمة (١) .

أيام الفاطميين :

استمرت بلبس تعاني من ويلات الحروب المتكررة فبعد فتح المسلمين لها وما أصابها من الرومان قامت حرب أخرى بين كل من شاور وضرغام وزير الخليفة الفاطمى ذلك أن كلا منهما كان يريد السلطة وتوالت الحرب بينهما .

ومما طال فى أمد هذه الحرب استنجد كل منهما بدولة أجنبية فكان شاور يستنجد مرة بجيش نور الدين زنكى ومرة بخيره من الأوربيين وكذلك فعل خصمه ضرغام ، وكانت مدينة بلبس بين المطرقة والسندان فأصابها من الجوع والخوف ما لا يخفى على الناس لقد أتت الحرب على الزرع والضرع ولاقى أهالى بلبس الأمرين وبقيت بلبس تحت ويلات الحرب حتى انتصر صلاح الدين على الأعداء ورالت الغمة وهدأت أحوال أهالى بلبس .

ويضيف أحد المؤرخين تلك المناظر المروعة التى أصابت أهل بلبس فيقول : «إن الصليبيين خرجوا وسلاحهم فى أيديهم وأخذوا يقتلون كل من وجدوه من الرجال والنساء والشيوخ والشبان ، ثم اقتحموا البيوت فأجهزوا على من احتمى فيها وسلمهم كل ما بها من متاع وأثاث (٢) .

وقد أخطأ الصليبيون بمعاملتهم السيئة لأهل بلبس مما أغضب المصريين جميعاً

(١) انظر : كتاب أرمانوسة تأليف جورجى زيدان (ص ١٩١) .

(٢) وليم الصورى (ص ٣٥٠) .

عما ساعد شيركوه عند مجيئه مرة ثانية إلى مصر والوقوف ضد شاور وعائلته - كل ذلك ساعد شيركوه في مهمته الحربية فدخل مصر ورحب به المصريون وانتصر شيركوه على الصليبيين في القاهرة .

أيام الدولة الأيوبية :

لم تقف الحرب الأهلية بعد انتهاء الدولة الفاطمية بل تجددت أيضاً أيام الدولة الأيوبية إذ قامت الحرب بين الملك العادل والملك الصالح أيوب .

يقول جورجى ريدان :

سار الملك العادل بجيوشه إلى بليس ليوقف سير أخيه (الملك الصالح أيوب) إذا حاول المجئ إلى مصر فلما وصل بليس ثار عليه الجند وولوا أخاه الملك الصالح أيوب ويابعوه على الحكم ودخل القاهرة سنة (٦٣٧ هـ) (١) .

أيام التتار :

عندما أراد التتار غزو الشام ومصر هبت مصر كلها تدافع عن بلدهم ، وقام قطز بجمع الجيوش المصرية للقاء التتار العدو الأكبر - قام قطز القائد المصرى سنة (٦٥٨) بجمع العساكر من جميع الطبقات ، فقد نودى على المناير للحض على ملاقات التتار وللجهاد فى سبيل الله ، وتوافد المسلمين من أسوان إلى الإسكندرية إلى بليس ، ومن بليس توجهوا إلى الصالحية ، ثم إلى الشام حيث قابلوا جيش التتار ، وانتصر المصريون على التتار فى موقعة عين جالوت وحفظ الله مصر من شر التتار (٢) .

أيام المماليك فى عهد قايتباى :

كان نزاع بين قايتباى حاكم مصر ، ومن أحد قواده الذى هرب إلى بليس وأرسل قايتباى لقبض على هذا القائد الذى وقف ضده وتفصيل الحادثة هو أن تمريقاً كان ضد السلطان قايتباى ، فقام الأمير أرغون شاه وقبض على تمريقاً فسر السلطان بذلك وفرح فرحاً شديداً وأرسل إليه الأمير يشبك ليقابله فى بليس ، ويحتفل بمقدمه ويرسله إلى الإسكندرية ليقم بها .

(١) جورجى ريدان (ص ٣٢١) .

(٢) مصر ملاذ العالم الإسلامى - الظاهر بيبرس - د. على محمد حمودة (ص ٣٧) .

كذلك قام السلطان قايتباى برحلة يتفقد فيها أحوال البلاد فمر على بلبيس فخرج الأهالى يستقبلونه بالترحاب الإجلال .

الدول العثمانية :

بدأ الغزو التركى لمصر أيام حكم طومان باى سلطان مصر ، وأخذ كل من الجيشين يتأهب للحرب ، واتخذ الجيش التركى طريقه عن طرق الصالحية ثم بلبيس ثم القاهرة ، وقبل أن يصل إلى بلبيس أشيع أن العثمانيين أصدروا منشوراً أن مدينة بلبيس ستكون فى أمان وسلام ولن يصيبها أذى ، ولكن تحقق للسلطان طومان باى أن العثمانيين وصلوا إلى بلبيس فأمر بحرق كل ما فيها من مؤن حتى لا يستفيد منها الجيش التركى ، وحيث لا يجد الجيش التركى شيئاً يستعملونه ووقع الضرر كله على بلبيس وأهلها .

أيام مراد بك وإبراهيم بك :

أثناء الحكم التركى لمصر ظهر مراد بك وإبراهيم بك ^(١) على الشاشة المصرية وتمكن الاثنان من حكم مصر داخلياً وأصبحت السلطة فى أيديهما - كانت البلاد فى كثير من الأوقات فى حالة سيئة اقتصادياً وسياسياً مما كان يؤدى إلى ظلم الحكام لأهل البلاد ، وأدى ذلك إلى كثرة ثورات الأهالى ضد الحكام ، وكانت المدن الهامة التى تحمل لواء الثورة هى القاهرة ورشيد وبلبيس ، وكان بعض هذه الثورات يبدو عنيفاً وكأنما تنبئ بثورة شاملة ^(٢) .

وحدث أيضاً أنه فى أواخر عام (١٧٩٥ / ١٢٠٩ هـ) اشتدت وطأة أحد الأمراء على بلبيس فى تحصيل الأموال فإلتجأ الفلاحون إلى الشيخ عبد الله الشرقاوى ليحميهم وكان الشيخ نفسه قد أصابه ضرر من جراء تحصيل الأموال ، فبدأ الشيخ بمخاطبة مراد بك وإبراهيم بك فلما لم يجد لمسعاه أثراً فى إصلاح الحال بالسعى السلمى دعا إلى الثورة فوجد النفوس مستعدة فاجتمع كثيرون من أهل القاهر ومن أهل الأطراف ، وأوشك الأمر أن يؤدى إلى ثورة دموية مدمرة ، وقضت القاهرة ثلاثة أيام فى اضطراب وخوف والقاس مصريون على أن يقف

(١) سيرة عمر مكرم لمحمد فريد أبو حديد (ص ٣١) .

(٢) وانظر أيضاً : سيرة عمر مكرم للدكتور عبد العزيز الشناوى .

الحكام عند حد العدل والحق أو يواصلوا الجهاد وإن أدى إلى إراقة الدماء ، وبذل الأموال والأنفس وأخيراً نزل مراد بك وإبراهيم على رأى العلماء وأمرأ بأن يكف العمال عن اتباع الظلم فارتفع الظلم عن أهل بلبيس إذ كانت بلبيس هى الشرارة الأولى للثورة .

· وحدث أيضاً حوادث نهب ذلك أن الأصهبانية وهم فرقة من عساكر الترك قاموا بنهب مدينة بلبيس والصالحية فثار الفلاحون مما اضطر الأمراء لإحضار الجنود وتوبيخهم على ذلك .

* * *

بلبيس والحملة الفرنسية

ذكر المؤرخ العلامة الجبرتي عن بلبيس والحملة الفرنسية ما يأتى :

« فى عشرين صفر سن (١٢١٣ هـ - ٣ أغسطس سنة ١٧٩٨ م) حضرت مكائيب الحجاج من العقبة فذهب أرباب (أعضاء) الديوان إلى باش عسكر (القائد العام) ، وأعلموه بذلك وطلبوا منه أماناً لأمير الحج « صالح بك » فامتنع وقال : لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتى فى قلة ولا يدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر . فقالوا له : ومن يوصل الحجاج . فقال لهم : أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم إلى مصر فكتبوا لأمير الحج مكانية بالملاطفة وأنه يحضر بالحجاج إلى الدار الحمراء ، وبعد ذلك يحصل الخبر فلم تصل إليهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بك يطلبهم للحضور إلى جهة بلبيس فتوجهوا إلى بلبيس وأقاموا هناك أياماً » (١) .

وإليك ما جاء عن الحملة الفرنسية ، وموقف بلبيس الجريئ من هذه الحملة بالتفصيل فى كتاب الأستاذ عبد الرحمن الرافعى .

* * *

توزيع القوات الفرنسية فى الوجه البحرى .

صحت عزيمة نابليون إذن على تجريد جيش للقضاء على قوة إبراهيم بك فى

(١) تاريخ الحركة القومية - عبد الرحمن الرافعى (ص ٢١١) .

شرق الدلتا ، وقبل أن يزحف بجيشه ورع القوات العسكرية على مديريات الوجه البحرى لإخضاعها وتوطيد سلطة الفرنسيين فيها فعين الجنرال فيال " Vial " قومنداناً للمديرتى المنصورة ودمياط ، والجنرال رايونشك " Zayonchek " قومنداناً للمنوفية ، والجنرال فوجير " Fugières " قومنداناً للغربية على أن يكون مقره المحلة الكبرى عاصمة المديرية فى ذلك العصر ، والجنرال مورا " Murat " للقليوبية ، والجنرال رامبون " Rampon " لاطفيح ، وأبقى الجنرال ديزيه " Desaix " جنوبى الجيزة يرصد حركات مراد بك ، وأمر الجنرال لكرك " Leclerck " بالسير إلى بليس .

* * *

المعارك بين الخانكة وأبى زعبل

بدأت طلائع الجيش الفرنسى تزحف يوم (٢ أغسطس سنة ١٧٩٨م) من القاهرة بقيادة الجنرال لكرك ، فمرت بالقبة ومنها سارت إلى المطرية ثم إلى المرج دون أن تجد مقاومة ما ، فإن الأهالى كانوا ينزحون عن بلادهم قبل قدوم الفرنسيين ، ومن المرج سارت القوة إلى الخانكة (الخانكة) ، وبها استقرت واتخذها الفرنسيون قاعدة عسكرية للزحف ومركزاً لتموين الجيش ، وأنشأوا بها الأفران ومخازن البقسماط والزاد والعلف .

قصدت الكتيبة يوم (٤ من أغسطس) قرية أبى زعبل ، ولكن صدهم عنها جمع من العرب والفلاحين مسلحين بالبنادق والعصى ^(١) (الشماريخ) ، فعادت الكتيبة أدراجها إلى الخانكة ، وأخذ الأهالى من العرب والفلاحين يتعقبونها إلى مستقرها .

وفى صباح (٥ من أغسطس) هاجم الأهالى المخافر الامامية لمعسكر الخانكة بقوة أكبر من قوتهم الأولى إذ انضم مائتان من المماليك ، وبدأ الهجوم ، فبررت من غابة أبى زعبل قوة من فرسان العرب يتبعهم عدد حاشد من الفلاحين ، ولم يكن هؤلاء يحملون فى الغالب إلا أسلحة ضعيفة فلم يتجاوز عدد حملة البنادق منهم السدس ، فأحاطوا بالفرنسيين من كل جانب ، تخفيهم الزروع والغيطان ،

(١) تقرير الكابتن مالوس إلى الجنرال كافاريللى .

وانضم إليهم سكان القرى المجاورة (١) فأطلقوا النار على الفرنسيين من كل صوب، ولكن نيران المدفعية والبنادق أوقفتهم بعيداً عن المعسكر ، فأعادوا الهجوم كرة بعد كرة ، واضطر جنود المقدمة إلى التراجع .

* * *

انسحاب الفرنسيين من الخانكة ثم احتلالها

وأدرك الجنرال لكلك الخاطر من الإصرار على الدفاع عن قرية الخانكة ، فأجمع أن ينسحب منها ويرتد غرباً ، وفى أثناء المعركة ثارت قرية الخانكة نفسها فوثب أهلها برجال الحرس الفرنسيين الموجودين بها فجردوهم من السلاح وقتلوهم .

استولى الفرع على الجنود الفرنسية ، ولم يطبقوا البقاء معرضين للهجمات فجمع القائد ضباطه وتشاوروا فى الأمر فاستقروا على إخلاء الخانكة والتراجع عن القرية ، فتفقهقروا بعد غروب الشمس وكان عددهم نحو ستمائة مقاتل وارتدوا قاصدين المطرية ، وفى طريقهم إليها قابلهم الكولونيل سلكوسكى أحد ياوران نابليون فأنبأهم بقرب وصول فرقة الجنرال رينيه Reynier لنجدتهم ، لكنهم استمروا فى إدمارهم حتى وصلوا إلى المرج وقضوا بها آخره الليل ، ولما لاح الفجر وصلت قوة الجنرال رينيه فرجعوا يريدون استرداد الخانكة ووصلوا إليها ظهر يوم (٦ أغسطس) وقد زاد عددهم ، فوجدوها خالية من أهلها (٢) .

كانت الخانكة من جهة موقعها ذات شأن عظيم لأنها تكاد تكون فى منتصف الطريق بين القاهرة وبليس ، لذلك وجه إليها نابليون عناية كبرى فى اتساخاها

(١) تقرير الكابتن مالوس .

(٢) أخذنا هذه البيانات عن تقرير الكابتن مالوس إلى الجنرال كافريللى ، وإليك ما ذكره الجبرتنى فى هذا الصدد : « فى ثالث وعشرين صفر (١٢١٣) خرجت طائفة من العسكر الفرنساوى إلى جهة العدلية وصار فى كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى ، ويذهبون إلى جهة الشرق أما كان ليلة الأربعاء خرج كبيرهم بونابارت وكانت أرائلهم وصلت إلى الخانكة وأبى زعبل ، وطلبوا كلفة من أبى زعبل فامتنعوا ، فقاتلوهم فضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها وارتحلوا إلى بليس » .

نقطة ارتكار للزحف ، وكان فى أوامره العسكرية يهتم بجعلها على تمام الأهبة لإقامة الجنود بها .

وكان سير الجيش محقوفا بصعوبات كبيرة لاصطدامه مع الأهالى أين توجه ، كتب الجنرال لوجيه Laugier إلى الجنرال دوجا فى (٦ أغسطس) يقول :
« ثارت القرى التى أرسلنا إليها بعض فرسان الدراجون لأخذ الخيول منها وعاد الفرسان يخبروننا بهذه الثورات ، وكل الدلائل تدل على أنه لا بد من قوة كبيرة لإخضاع هذه الجهات » .

* * *

احتلال بلبس

ثم وصلت بقية الجيش الفرنسى بعد استرداد الخانكة ، فجاء نابليون ومعه فرقنا الجنرال دوجا والجنرال لان ، وانضمت إليهما فرقة الجنرال رينييه .
فسار نابليون على رأس الفرق الثلاث قاصداً بلبس عاصمة الشرقية فى ذلك الحين ووصل إليها يوم (٩ أغسطس) بعد أن أخلاها إبراهيم بك فاعتزم نابليون أن يتعقبه قبل أن يغادر حدود مصر إلى الشام ، ولقى الفرنسيون فى بلبس من بقى من الحجاج بعد أن ارتحل بعضهم إلى بلادهم قبل وصول الجيش الفرنسى ، وكان أمير الحج صالح بك قد لحق بإبراهيم وصحبته جماعة من التجار وغيرهم لأن إبراهيم بك كتب إلى أمير الحج بعد معركة الأهرام ينصح له أن لا يذهب إلى القاهرة ، ويرغب إليه فى اللحاق به فى الصالحية ، وبقي فى بلبس من لم يقدر من الحجاج أن يغادرها فلم يتعرض لهم الفرنسيون بسوء وأرسلوهم إلى القاهرة تهرسهم كوكبة من جنودهم^(١) ، وفى ذلك يقول الجبرتى : « وفى (١٨ صفر) ملك الفرنسيين بلبس من غير قتال ، ومن قى فيها من الحجاج لم يشوشوا عليه فأرسلوهم إلى مصر ومعهم طائفة من العسكر » .

* * *

(١) عين نابليون بعد عودته إلى القاهرة مصطفى بك كتخدا (وكيل الوالى) أميراً للحج بتاريخ (٢ سبتمبر سنة ١٧٩٨) (٢١ ربيع الأول سنة ١٢١٣) كما أوضحنا ذلك فى الفصل الثانى عشر .

معركة الصالحية (١١ أغسطس سنة ١٧٩٨)

لم يضيع نابليون وقتاً في بلبس بل أرسل قوة من فرسانه ليلة (١٠ أغسطس) في أعقاب إبراهيم بك ، ووصل الجيش إلى (القرين) في (١٠ أغسطس) دون أن يلحق بقوة إبراهيم بك الذي غادرها قبيل وصول الجيش الفرنسي قاصداً إلى الصالحية ، فتعقبه نابليون بفرسانه دون أن ينتظر فرقة الجنرال لان Lannes وانم إليه الجنرال مورا Murat الذي جاء من قلوب بقوة الفرسان ، فاشتبك نابليون مع قوة المماليك في معركة عرفت بمعركة الصالحية (١١ أغسطس سنة ١٧٩٨) لأنها وقعت على مقربة منها ، وقد حمى وطيس القتال في هذه المعركة وكادت تدور الدائرة على قوة الفرنسيين لأنها كانت مؤلفة من عدد قليل من فرسانهم لا يزيد عن أربعمئة ، وكان فرسان المماليك أكثر منهم عدداً وأشد بأساً ، فكانت هذه أول معركة نشبت بين فرسان الجيشين ، والتقى فيها الفريقان وجهاً لوجه ، واقتتلوا بالسلاح الأبيض ، فتخرج مركز الفرنسيين لأن فرسان المماليك اشتبهوا بالمهارة والبسالة في قتالهم ، ولا غرو فقد كانوا أحلاس الخيل ، وأبناء الطعن والضرب ، ولم ينقذ نابليون إلا وصول المدد من الجنرال لكرك ، فاضطر المماليك إلى الانسحاب ، وجرح في هذه المعركة من خاصة رجال نابليون الكولونل سلكوسكى ^(١) ياوره والكولونيل ديترس Detres وغيرهما من الضباط جروحاً بالغة ، وفي ذلك يقول الجبرتي :

« فركب سارى عسكر وأخذ معه الخيالة ، وقصد الإغارة على الحملة وعلم إبراهيم بك بذلك أيضاً ، فركب هو وصالح بك (أمير الحج) وعدة من الأمراء المماليك وتحاربوا معهم ساعة أشرف فيها الفرنسيين على الهزيمة لكونهم على الخيول ، وإذا بالخبر وصل إلى إبراهيم بك بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبها ، فعند ذلك فر بمن معه على أثره ، وتركوا قتال الفرنسيين ولحقوا بالعرب فأجلوهم عن متاعهم وقتلوا منهم عدة ، فارتحلوا إلى قطيا ورجع سارى عسكر (نابليون) إلى مصر وترك عدة من عساكره متفرقين في البلاد » .

فالجبرتي ينسب انسحاب المماليك في معركة الصالحية إلى نهب العربان

(١) هو الذى قتل فى ثورة القاهرة ، راجع الفصل الثالث عشر .

للحملة واضطرار أولئك إلى إجلائهم عنها واستعادتها منهم ، وقد انتهت هذه المعركة بانسحاب إبراهيم بك ومن معه إلى حدود مصر الشرقية .

* * *

عودة نابليون إلى القاهرة

غادر نابليون الصالحية يوم (١٣ أغسطس) عائداً إلى القاهرة ، وفى طريقه إليها جاءه نبأ كارثة الأسطول الفرنسى فى واقعة أبو قير ومقتل الأميرال برويس (١) ، حمل إليه هذا النبأ الضابط لوييه Loyer ياور الجنرال كليبر فى رسالة بعث بها إليه كليبر من الإسكندرية ، فلما تلا نابليون الرسالة وفيها أعظم نكبة أصابت الحملة الفرنسية تلقاها بالجلد والصبر ، ولم تبد عليه علائم الاضطراب وأخذ يسأل الياور عن تفاصيل الواقعة مما لم يرد فى الرسالة ، وبعد أن أتم الياور كلامه أبلغ نابليون نبأ الكارثة إلى أركان حربه قائلاً لهم : « إن أسطولنا لم يعد له وجود ، والآن يجب علينا أن نبقى فى هذه البلاد أو نخرج منها عظماء كما فعل الأقدمون » ، ثم عجل بالمسير إلى القاهرة ليزيل بوجوده الأثر المعنوى الذى أحدثته أخبار الكارثة فى مصر فجاءها يوم (١٤ أغسطس سنة ١٧٩٨) ، وهناك خاطب ضباطه قائلاً : « ها نحن أولاء مضطرون أن نعمل العظائم وسنعملها ، وأن نؤسس فى هذه البلاد دولة كبيرة وسنؤسسها إن البحار تفصل بيننا وبين الوطن ولا سلطان لنا على هذه البحار ، ولكن ليس ثمة فاصل يفصلنا عن آسيا وأفريقية ، وعندنا من الرجال العدد الوافر ، ولا ينقصنا المدد لتقوية صفوفنا ولا تنقصنا الميرة والذخيرة ، وإذا احتجنا إلى المزيد منا فإن شامبى Champey (٢) وكونتى Conte (٣) كفيلا بصنعها (٤) » .

* * *

(١) يقول نابليون فى رسالته إلى كليبر الواردة فى مجموعة رسائله رقم (٣٠ ١٨) إنه تلقى نبأ الواقعة فى الصالحية ، وفى تقريره إلى حكومة الديار كتوار يقول إنه تلقاه بعد أن غادر الصالحية إذ كان على بعد فرسخين منها .

(٢) ، (٣) من أعضاء المجمع العلمى .

(٤) نقلنا هذه العبارة عن مذكرات نابليون التى أملاها على الجنرال برتران يانت هيلين ، وقد كتب الجنرال مارمون فى كتابه (رحلة المارشال الدوق دى راجوز) يقول : إنه كان =

الاضطرابات فى الشرقية

عادت فرقة الجنرال لان إلى القاهرة ورجع الجنرال مورا Murat بالقوة التى كانت تحت إمرته إلى قليب لإخضاع مديرية القليوبية ، وسار الجنرال دوجا بفرقة إلى المنصورة لإخضاع القسم الشمالى الشرقى من الدلتا (١) ، وبقيت فرقة الجنرال رينيه وفرسان الجنرال لكرك فى الصالحية حيث أمر نابليون بتحسينها لحراسة برزخ السويس ومراقبة حدود مصر الشرقية ، واتخذ من الصالحية مركزاً لتموين الجيش ، وعين الجنرال رينيه قومنداناً لمديرية الشرقية وعهد إليه فى إقامة الطوابى والاستحكامات بالصالحية وبلبيس واستطلاع أخبار المماليك الذين ارتدوا إلى حدود سوريا ، وقد اتخذ الجنرال رينيه مسجد الصالحية مركزاً عسكرياً للفرقة وأنشأ فيه الأفران والمخابز للجيش ، وأقام فيه المدافع ، وأقره نابليون على صنيعة المثير لحفيظة الأهالى وأمره أن يزيد عدد الأفران التى بالمسجد وعدد المدافع التى نصبوها عليه ، وأن يتخذ فيه مخزناً للبارود ومستشفى للجنود ويجعل منارته مرصداً لاستطلاع الحركات العدائية ، وقد صارت الصالحية وبلبيس فى عهد الحملة الفرنسية من المواقع الحصينة وعلى جانب كبير من المناعة .

كان مقام رينيه فى الشرق مقروناً باعتداء الجنود وجرائمهم ، فكانوا يجوبون القرى وينهبون الماشية فيضطر الناس إلى الرحيل عن قراهم لتهديب مواشيهم فى الصحراء ، وعيلاً حاول الجنرال رينيه أن يرد النظام فى صفوف جنوده أو يقنع الأهالى فى القرى المجاورة أن يبيعوه ما يحتاج إليه من المواشى بالثمن فلم يصدقوه ، ولم يأمنوه وأخذوا يفرون من القرى بمواشيهم نجاها بها من النهب

= بجانب نابليون حينما جاءه نبأ كارثة العمارة الفرنسية فى معركة أبو قير وإنه تلقى هذا النبأ وهو فى خيمته (خيمة مارمون) فى معسكر الخانكة بين بلبيس والقاهر (وهذا يخالف ما ذكره نابليون كما بيناه فى هامش الصفحة السابقة) قال مارمون يصف حالة نابليون عندئذ: « تلا الجنرال بوناپرت رسالة كليبر وظل ثابتاً رابط الجأش ، وأبان عن شيء كثير من علو النفس وقوة البأس ، ولم يكتف عنا عظم النكبة وما تجره من العواقب ، ولكنه اجتهد فى أن يخفف أثر وقعها » ، وذكر الجنرال مارمون أقوال نابليون وهى لا تخرج فى معناها عما جاء فى مذكراته .

(١) قبل أن يغادر نابليون الصالحية أصدر أمره بتعيين الجنرال دوجا قومنداناً لمديرية المنصورة وأن يقتصر الجنرال فيال على دمياط .

والسلب ، وكانت صدور الفرنسيين من جهة أخرى موعرة على الأهالي لحملهم السلاح فى وجههم ، فاضطربت الأحوال فى الشرقية وظل الأهالي يناوشون الحاميات الفرنسية ويتهددون مواصلات الجيش مع القاهرة ، وقد اشتدت حركاتهم فى أوائل أكتوبر سنة (١٧٩٨) عندما انبثت فكرة الثورة فى القاهرة وبدأت تذيب الدعوة لباقى الأقاليم ، فاجتراً الثوار على مهاجمة المخافر الفرنسية ، وقتل الأهالي ترجمان الجنرال رينييه الخاص على مقربة من معسكر الفرنسيين فى بليس وقاوم أهل « بيشه » الفرنسيين عندما شرعوا فى مصادرة خيولهم ، وبدأ أهالي بليس وأعوانهم من العرب المجاورين لهم يهاجمون معسكر الفرنسيين فى المدينة، ولم يستطع الجنرال رينييه أن يخضع القوم لأن الفيضان قد خرب الأرض فعطل حركات الجنود فى انتقالها إلى القرى ، كما أن الأمراض قد قتكت بالجنود وبخاصة الرمد الذى انتشر بينهم .

وقد كان لجمود الحامية الفرنسية ولدعوة الثورة التى استطارت من القاهرة فى الأقاليم أثر كبير فى تشجيع الأهالي على مهاجمة معسكر بليس بقوة كبيرة ، فبدأ هجومهم فجر يوم (٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨) فأقبل مائة من الفرسان من قبيلة العائد قادمين من الصحراء فالتقوا بكتيبة من الفرنسيين ، وقتلوا منها بعض الجنود، فرد الجنرال رينييه هجمة العرب ولكنه اضطر أن ينسحب إلى بليس ليرد هجوما آخر كان يتهدد مركزه فى المدينة وقد اشترك فيه (٢٥٠) من الفرسان و(١٢٠٠) من المشاة .

فربط رينييه بالمدينة حتى أقبل إليه المدد ثم أخذ يهاجم الثوار إلى أن ارتدوا عنها وسار بجنوده يتعقبهم حتى غابوا فى الصحراء فعاد إلى بليس ، وفى هذا الوقت كان عرب بلى قد أقبلوا من طريق القاهرة ، وهاجموا المعسكر قردهم الجنود الفرنسية ، ثم كروا بعد قليل ولهم قوة أكبر فكان عددهم كما قدرهم الجنرال رينييه (٥٠٠) فارس و(١٢٠٠) إلى (١٥٠٠) راجل ، فمال عليهم رينييه بجنوده ومدفعيته ففرقهم بالبنادق والمدافع وردهم إلى قرية « غيتة » (١) ، وفيما هو على أثرهم هجم الجمع الحاشد من أهالي البلاد المجاورة (قدرهم رينييه بألفين من المشاة و١٥٠ من الفرسان) على الفضاء الذى يفصل المعسكر عن

(١) فى الجنوب الغربى لبليس .

بلييس ، ولكن رينييه ردهم على أعقابهم عند عودته إلى المدينة ثم عادوا إلى الهجوم ثانية وكذلك ردتهم الجنود الفرنسية ثم استمرت الحرب سجالات بين الفريقين .

لم تنقطع الحركات العدائية حول بلييس ، ولم يكن لدى الجنرال رينييه من الجنود القوة الكافية لتجريد حملة على الثوار تغزوهم في بلادهم وقراهم فأصبحت مواصلات الجيش الفرنسي مهددة ، وأرسل رينييه يطلب النجدة من نابليون فأمره ألا يغفل عن تحسين موقعي بلييس والصالحية وأن ينهك بعقوبته القبائل التي تزدت أو شاركت في الحركات الأخيرة ، ويأخذ منها الرهائن وأمره كذلك بمعاينة البلاد التي اشتركت في الثورة ، وأن يأخذ مشايخها ويقتلهم لأنهم هم المستولون فهم المآخذون بما يحدث في بلادهم .

وقد علم الأهالي والعرب أن رينييه راحف عليهم للإيقاع بهم والقصاص منهم فأوغلوا في البلاد البعيدة ، وأخلوا القرى المجاورة لبلييس فلم يستطع رينييه أن يجرّد حملته لتعقبهم وآثر أن يعدل معهم إلى المحاسنة فلجأ إلى المفاوضة مع رعمائهم لإعادة السكينة وإقرارها لكنه لم يوفق توفيقا يعتد به .

واستمرت الاضطرابات في الشرقية بعد ذلك لم تنقطع .

قال الجبرتي المؤرخ في حوادث آخر رجب سنة (١٢١٣ هـ) ، ديسمبر (١٧٩٨ م) :

« حضر ساري عسكر نابليون من ناحية بلييس إلى مصر ليلاً ، وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباطة أخو سليمان أباطة شيخ العبادلة وخلافه رهائن وضربوا أبو رعل والمنير ، وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم إلى القاهرة وخلفهم أصحابهم (١) .

ويمكن أن نقول إن الطريق الأساسي من فلسطين إلى مصر هو كما يأتي :

بيدا من رفح - العريش - الفرما - الصالحية - القرين - ثم العباسة - بلييس - عين شمس ثم ينتهي عند بابليون (مصر القديمة) .

(١) الحركة القومية تأليف عبد الرحمن الرافعي (ص ٢١٨) .

بلييس والثورة العراقية

قام الزعيم أحمد عرابي يطالب بحقوق المصريين قام فى وجه الخديوى الذى أنقاد لآراء الإنجليز دبرت المؤامرة ضد أحمد عرابي ، وقامت الثورة وقامت الحرب ، وإنه وإن كان الخديوى والإنجليز انتصروا على الشعب إلا أن الانتصار كان مؤقتاً فهاهم الإنجليز قد خرجوا يجرّون أذيال الخيبة وهامى أسرة محمد على تنتهى وأصبحت أثراً بعد عين أما مصر فبقيت ونالت حريتها .

وكما يقولون « ساعة الظلم ساعة وساعة العدل والحق إلى قيام الساعة » .

أما بلييس فى هذه الحركة فهى الخط الثانى للدفاع بعد الإسماعيلية وأبى صوير والتل الكبير أضف إلى ذلك أن الزعيم أحمد عرابي فهو من الشرقية والتى كانت عاصمتها بلييس سابقاً .



الباب الثامن

القبائل العربية فى بليس

القبائل العربية التي جاءت مصر وبلبيس

عمد بعض الخلفاء الأمويين إلى نظام إدخال بعض القبائل العربية إلى مصر وتوزيعهم على المدن المصرية لأسباب عدة منها العمل على إدخال عناصر جديدة تقوم بالزراعة والتجارة والنقل أو كما نسميه اليوم الاستثمار الأجنبي ، وتشجيعه بدأ هذا التفكير أيام ابن الحبحاب وإلى مصر من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في سنة (١٠٩ هـ / ٧٢٧م) .

عمد هذا الخليفة إلى تهجير بعض القبائل من الجزيرة العربية إلى مصر ولما دخلوها أسكن بعضهم مدينة بلبيس وأعطاهم وزودهم بالخيل والجمال ، وأناط بهم أعمال متعددة كحراسة القوافل المارة من ساحل البحر الأحمر إلى داخل البلاد (١) .

كما قاموا في بعض الأوقات بنقل البضائع ثم اشتغل بعضهم بالتجارة والزراعة ، وكانت تصرف لبعضهم بعض مبالغ تشجيعاً لهم على الاستمرار في العمل .

لكن التهجير لم يتوقف بل نرى بعض الخلفاء العباسيين ينقلون بعض القبائل العربية مثل قبيلتي سليم وبنى هلال ، والتي ترجع نسب عرب الطحاوية إليهم ، وقد زاد عدد هذه القبائل حتى أصبحوا قوة ، وأصبحنا نسمع عن حكايات وأساطير تدل على ما وصلوا إليه من قوة وثراء ، وما رلنا نسمع عن أبو زيد الهلالي وسلامة والسفيرة عزيزة والزنادي خليفة ، وكيف كثرت الأساطير حولهم .

وقد رادت قوة هذه القبائل فنراهم في بعض الأوقات تقوم بثورات ضد الحكام والولاة المصريين ، ففي عهد المعز أيك السلطان المملوكي فيقبض عليهم ، ويعلق بعضهم على المشانق في بلبيس فقلت شوكتهم .

أما في أيام نابليون فنراهم يشتغلون بنقل الرسائل بين القاهرة والشام نظير أجر وكان الطريق هو الطريق المار بمدينة بلبيس .

(١) كان النقل أيضاً من القلزم حتى الشام ماراً بمدينة بلبيس .

القبائل العربية فى مصر

عرف العرب مصر قبل الإسلام بزمان بعيد فقد كان بعض العرب يجيئون إلى مصر كتجار ، وما يؤكد ذلك القوافل التى اشترت سيدنا يوسف وباعوه إلى فرعون مصر .

ثم رادت الصلة بين مصر والعرب عندما تزوج سيدنا إبراهيم هاجر المصرية ، وانجبت سيدنا إسماعيل الذى اتخذ من مكة مقاماً له .

كما تؤكد كتب التاريخ أن سيدنا عمرو بن العاص رضى الله عنه زار مصر ، وأنه حضر حفلاً مصرياً ، وسقطت على رأسه كرة ، وأن هذه الكرة متى تسقط على شخص فإنه سيصبح حاكماً على مصر مما كان لهذا وقع شديد فى نفوس المصريين إذ كيف يأتى يوم ويحكم رجل عربى مصر مما جعل هذا الحادث يحتل مكاناً بارزاً فى كتب التاريخ .

ثم امتدت هذه الصلة عندما غزا عمرو بن العاص مصر واشترك فى جيشه عدد كثير من العرب المسلمون ، والذين سكنوا مصر بعد فتح العرب لمصر .

١ - قبيلة العزارية : التى سكنت الزقاريق وبلبيس ، وكذلك سكنت قبيلة بنى سليم بلبيس أما قبيلة العابد ، فإنها جاءت مصر مع عمرو بن العاص أثناء فتح مصر .

أما قبيلة بنى سليم فقد سكن بعضهم مدينة بلبيس وكان عددهم مائة أسرة (١) .

٢ - قبيلة قيس : نزلت قبيلة قيس بن عليان مصر وبلبيس وجاءت هذه القبيلة بأمر من والى مصر هشام بن عبد الملك سنة (١٠٩ هـ) ، وكان عددهم حوالى خمسة آلاف شخص ، وانتشروا داخل البلاد وكان أهم عمل لهم نقل المؤن من مصر إلى القلزم (السويس الآن) ، وكذلك اهتموا بتربية الخيول .

٣ - قبيلة عبس : سكن كثير منهم بلبيس وعاشوا مع قبيلة قيس الذى كانوا قد جاءوا قبلهم إلى بلبيس .

٤ - قبيلة أخرى سكنت مدينة غيفة ، وهى غيفة الآن وهى تجاور بلبيس وتابعة

(١) كتاب نحن العرب تأليف لواء حامد أحمد صالح (ص ١٢١) .

لها ، وكان الحجاج ينزلون بهذه القرية إذا خرجوا للحج كما كان بهذه القرية موالى (أصحاب) الخليفة المسلمين . عثمان بن عفان رضى الله عنه وأمثال حسين ابن إدريس وعمر بن إدريس وتوفى سنة (٣٢٩ هـ) (١) .

٥ - أما قبيلة الطحاوية فسكنت بلبيس كما سكنت قبيلة الطميلات الوادى المسمى بها ، وإن كان بعض أفرادها سكنوا الفيوم .

* * *

قبيلة بنى هلال أو الهلالية

كانت هذه القبيلة تسكن الجزيرة العربية - واتخذت منطقة نجد - مقاماً لها قبل الإسلام - ولما ظهر الإسلام اعتنق أفرادها الدين الإسلامى على يد سيدنا محمد ﷺ ، وحسن إسلامهم واشتركوا فى حروب المسلمين ، ثم أخذوا ينتشرون فى البلاد الإسلامية كالعراق والشام ومصر .

وكانت أرمه طاحنة أحلت بالجزيرة العربية مما أدى إلى هجرة بعض القبائل أمثال قبيلة الهلالية إلى الدول الإسلامية المجاورة .

جاء بعض أفراد هذه القبيلة إلى بلبيس واستقروا بها .

جاء فى رسالة عن قبيلة الهلالية ما يأتى .

أما وصولهم إلى مصر فكان عن طريق العريش ثم الفرما ، ثم إلى بلبيس ، ثم إلى القسطنطينية ، وكان ذلك تقريباً فى عصر العزيز بالله الفاطمى .

أما سبب استقرار بعضهم فى بلبيس أنها كانت منطقة ذات أراض واسعة تصلح لأيواء هذا العدد الكبير .

جاء أيضاً : « اتجه الهلالية إلى العريش وقتلوا أميرها البردويل الحاكم الأجنبى ، ولم يكن مسلماً ودخلوا أرض مصر وضربوا جباههم فى الخوف الشرقى فكانت مضارب أمرائهم فى بلبيس » .

ونخلص من ذلك أن بعض القبائل العربية جاء إلى مصر قبل وبعد الإسلام إلا أن الكثير منهم سكن مصر واستقر بها ، وأصبح بعض المدن والقرى يسمى

(١) القبائل (ص ٨٨) وولاية مصر للكندى (ص ٥٠) .

باسمهم مثل قرية العزازية ، وقرية بنى عليم ، وقرية العابد ، وبنى هليلا ، والطحاوية وغيرها .

ويمكن أن نقول إن بعض القبائل العربية التي سكنت بلييس هي :

- | | |
|---------------------|---------------|
| ١ - قبيلة قيس عيلان | ٢ - العابد |
| ٣ - العزازية | ٤ - بنى عامر |
| ٥ - بنى عليم | ٦ - بنى نصير |
| ٧ - الهنادى | ٨ - الطحاوية |
| ٩ - الهلالية | ١٠ - بنى هلال |

* * *

أبو زيد الهلالي

١ - يعتبر أبو زيد الهلالي من أهم شخصيات قبيلة الهلالية فقد نشأ منذ صغره بطلا شجاعاً قاد الجيوش ، وانتصر على الأعداء ، وفك أسر المسجونين من قبيلته ، والتي كان سجنهم الزناتى خليفة حاكم تونس ، وتمكن أبو زيد من أن يحكم تونس وبعض بلاد شمال أفريقية ، وكان منجد الطرق المختلفة والوسائل العديدة للخروج من الصعوبات والمآرق التي تقف في سبيله ، ولكن حدث نزاع بين أبو زيد ، وبين دياب ابن غانم انتهى بقتل أبو زيد الهلالي (١) .

٢ - الشاطر حسن : هو من رعماء قبيلة بنى هلال واشتهر بحسن الخلق والشجاعة والعدل ، وكان يعطى ولا يأخذ يعفو عمن أساء إليه ، وكان يلبس أحسن الثياب وأفخره ويهتم بالملبس والتأنق - وكان يمثل الوجاهة والكرم ، وينظر إليه الناس نظرة إعجاب واحترام وقد قتله دياب ابن غانم .

٣ - دياب ابن غانم : هو من قبيلة رغبة وهي فرع من قبيلة الهلالية .

كان دياب بن غانم رجلاً غداراً وحقوقاً ذا أخلاق سيئة لا يعرف حقوق الناس بل اتصف بالظلم يريد أن يستولى على كل شيء بحق وبغير حق - القوة هي

(١) عالم الفكر - الملاحم الشعبية (ص ٥٢) .

طريقه لم يهتم بالقراية أو المصاهرة - قتل الشاطر حسن مع أنه صهره وقريبه كما قتل أبو زيد الهلالي .

٤ - ابن يقر : كان رعيم القبائل العربية أيام الدولة العثمانية وقاموا بثورة ضد الحاكم العثماني ، وقد لعب بعض هذه القبائل دوراً هاماً في الشرقية أيام ثورة الزعيم أحمد عرابي ضد المجترة .

٥ - العابد : كان شيخ العرب نجم شيخ العابد من ضمن كبار الدولة الذين ورع عليهم الخلع (الملابس) والهدايا من السلطان ، وهو دليل قاطع على أهمية مدينة بلبس من ناحية ، وعلى أن قبائل متعددة اتخذت مدينة بلبس سكناً لهم حدث هذا أيام المماليك الجراكسة .

٦ - السفيرة عزيزة .

٧ - خضرة الشريفة : وقد لعبت دوراً هاماً في الحروب التي قامت بين الهلالية وأعدائهم .

٨ - الزناتى خليفة : حاكم تونس وقد حارب الهلالية وانتصر عليهم وسجن بعضهم ولكن « أبو زيد » تمكن من أن ينتصر عليه ، وفك أسر المسجونين ، وقتل الزناتى خليفة ، وحكم أبو زيد تونس بدلاً منه .

* * *

الأمثلة التي اشتهرت بها أهل بلبس

كان من نتائج القبائل المختلفة التي مرت بلبس وسكن بعضها هذه المدينة أن تركوا لنا بعض الأمثلة التي مازال الناس يذكرونها في المناسبات .

ولنذكر بعض هذه الأمثلة :

١ - فتنا على بلبس ياما جرى لنا تبيع العيش بالميزان والمش بالفنجان .

٢ - فلان عامل أبو على .

٣ - هو أنت رغبى .

٤ - دياب بن غانم وأبو زيد الهلالي .

٥ - كأنك يا أبو زيد ما غزيت .

٦ - سكة أبو زيد كلها مسالك .

٧ - ملاعب شيحة .

١ - فتنا على بليس ياما جرى لنا تسبيح العيش بالميزان والمش بالفتجان :

يرى بعض الناس أن هذا المثل دليل على بخل أهل بليس لأنهم لم يعطوا
بنى الهلال أثناء مرورهم أو مكوئهم ببليس خبزاً بدون ميزان أى بدون تحديد
الكمية وتحديد المبلغ .

ولكن هذا المثل فهم لدى الناس خطأ ذلك أن الهلالية جاءت فى وقت
حروب، ولم تكن هناك أوقات سلام حيث تكثر المواد الغذائية ، وكان لا بد أن
تحدد الكميات حتى لا تنفذ هذه المواد .

والتفسير الآخر هو أن بليس كانت مدينة متحضرة ، وسارت على طرق
التموين المنظم فوضعت التسعيرة للمواد الغذائية فسعرت العيش والمش .

ولم تترك هذه المواد تباع جزافاً وها نحن اليوم ، وقد وضعت وزارة التموين
النظم الحديثة فحددت للرغيف وزناً خاصاً وسعراً محدد ، وهنا يمكن أن نقول إن
هذا المثل يدل على أن أهل بليس سبقوا حضار القرن العشرين ، ولم يكن أهلها
بخلاء .

٢ - فلان عامل أبو على :

أبو على يعنى حسن : وهذا المثل يطلق على الشاطر حسن أحد زعماء قبيلة
الهلالية ، وقد وصفنا أنه ذا خلق كريم - وعادل يطلق يتأنق فى ملبسه يلبس
أحسن الثياب وأفخره يعطى ولا يأخذ يسير معجباً بنفسه - محباً للناس كما وأن
الناس تحبه لحنانه ورأفته بالناس ضرب به المثل حيث كان الناس يعجبون به ، فكان
كل من يلبس أحسن الثياب وأفخره ويعدل بين الناس يقولون عنه هو عامل أبو
على أى أنه يتشبه بالشاطر حسن الذى اشتهر بالوداعة والأخلاق الكريمة والملابس
الحسنة .

٣ - فلان رغبى :

أطلق هذا المثل على دياب ابن غانم لأنه من قبيلة رغب ، وكان دياب ابن غانم
كما قلنا أنه كان غداراً وحقوقاً يميل إلى سفك الدماء ، وقتل الأبرياء يحب

الحروب ويكره الأقوياء والأصحاء ، ولم يعرف للصداقة حقها ولا للقرابة أصولها
إذ قتل أبو زيد الهلالي كما قتل الشاطر حسن بدون سبب ، ولكته الحقد وسوء
الأخلاق الذين اتصف بهما دياب ابن غانم ، ومن هنا قيل « هو أنت رغبى » أى
غدار وحقودى وسفاك دماء وقاتل .

٤ - كأنك يا أبو زيد ما غزيت :

هذا المثل يشبه المثل العربى القديم « رجع بخفى حنين » وتفسير ذلك المثل :
إن أبا زيد قلنا من قبل كان بطلاً شجاعاً حارب ، وأنقذ المسجونين من قبل
وكان الزناتى خليفة حاكم تونس قد سجنهم ، ويعد حرب بينه وبين أبو زيد وفك
أسر المسجونين واستولى على الحكم ، وأصبح حاكماً على تونس إلا أن حكمه
لم يدم لأن دياب ابن غانم الغدار والسفاك دخل فى حرب مع أبو زيد -
وانتصرت دياب على أبو زيد وقتله ، واستولى دياب على الحكم وضاع أمل
أبو زيد ، وضاع ما كان يرجوه ، ومن هنا جاء المثل كأنك يا أبو زيد ما غزيت .

٦ - سكة أبو زيد كلها مسالك :

قلنا إن أبو زيد الهلالي كان بطلاً شجاعاً ويعرف كيف يتخلص مما يقف فى
طريقه من عوائق وصعوبات مما سهل عليه انتصاراته الكثيرة فإذا وقف فى طريقه
عائق اتخذ بعقله الراجح طريقاً آخر ، فكان ذلك سبباً فى نجاحه وسار المثل -
سكة أبو زيد كلها مسالك .

وضرب مثل هذا المثل « ملاعب شيحه » ^(١) ، وكان هذا الرجل يتخذ الطرق
المختلفة لكى ينفذ أغراضه .

ثم جاء نابليون القائد الفرنسى ، ويقول ليس هناك مستحيل أى هناك طرق
أخرى إذا وقف فى طريقه صعوبات .

* * *

(١) شيحه كان فى عصر الماليك .

اللهجات العربية وأثر القبائل العربية النطق بحرف القاف

لو أنك تحدثت مع بعض أهالى بلبس فإنك تعجب إذا سمعت بعض الكلمات عند نطقها ، ويظهر ذلك جلياً إذا كانت الكلمة أحد حروفها حرف القاف فمثلاً كلمة يقول ، وقريب ، قليل :

ينطقها الرجل الكبير سنا	يقول ، قريب ، قليل
وينطقها الشباب	يؤول ، أريب ، أيل
وينطقها الرجل العادى	يجول ، جريب ، جليل

هذا الاختلاف فى النطق يكون له أسباب منها :

١ - هجرة العرب إلى بلبس منذ القرن الأول الهجرى ، وهم بلا شك ينطقون حرف القاف قاً فتعود الكبار فى السن على التقليد ، ونظروا نظرة الاحترام فى النطق الصحيح .

٢ - أما الشباب فقلدوا هؤلاء الأجانب غير العرب ، والذى لا يتمسكون بقواعد اللغة العربية الصحيحة فنطقوا القاف الفا مثل قال : آل والسبب هجرة أنواع مختلفة من الأجانب واستقرارهم فيها من يهود ومسيحيين ، ثم الحروب التى عانت منها بلبس فسكنها بعض الأسرى الأجانب ، ثم جاء عصر الحكم التركى والمماليك وغيرهما مما لا يمكنهم استعمال اللغة العربية الفصحى .

٣ - أما باقى السكان الذين ينطقون القاف جيما مثل يجول ، جريت جليل ، فهى معظم سكان القرى المجاورة لمدينة بلبس ، وهم أبعد عن الدخول فى اللغة وقواعدها ، وإن كان الشباب قد أخذ قسطاً من التعليم فبدأ يهجر نطق الجيم وأرى نطق الجيم يرجع إلى أهالى الصعيد حيث تراهم ينطقون القاف جيما .

* * *

الباب التاسع السكان

بلييس وتكوين السكان

١ - بدأت منطقة جوشن تظهر على المسرح السياسى منذ أن حفر سنوسرت القناة الموصلة بين النيل والبحر الأحمر وأخذت الأنظار تتجه إلى هذه المنطقة .

٢ - زادت الأهمية بعد حروب رمسيس الثانى مع الحيثيين ونقل عاصمة مصر إلى هذه المنطقة ، واتخاذ أواريش عاصمة للملكه .

٣ - بدء تدهور الأحوال المصرية منذ الأسرة العشرين والحادية والعشرين .

٤ - قيام الأسرة الثانية والعشرين . وهذه الأسرة لم تكن مصرية الأصل ، وكانت لا تعبد معبودات مصر مثل رع أو آمون أو اتوم ، ولكن كانت لهم معبودات أخرى فأتخذت من القبط « بس » المصرى والمعبود المصرى والميود الأجنبى ، وهو بعل وأصبح الكلمة بعل بس ثم أطلق على الكلمة بلييس ، واتخذوا مكان بلييس مركزاً لهم سياسياً كما اتخذوا تل بسطة مركزاً دينياً .

ويرى بعض المؤرخين أن المنطقة كلها كانت قد اتخذت بلييس مركزاً إدارياً بينما كانت منطقة تل بسطة مركزاً دينياً ، وقالوا إن المسافة بينهما لم تكن تتعدى ثمانية كم ، ومنذ هذا الوقت أصبحت كلمة جوشن فى روايا التاريخ ، وبدأ ظهور المدن التابعة لبلييس ، والتي تكلمنا عنها ، والتي قامت على أرض جوشن موضع الحديث بدلاً من كلمة جوشن وهكذا ظهرت مدينة بلييس .

تكلمنا عن كيف نشأت بلييس ، والآن نتكلم عن أهالى بلييس هل هم منذ زمن طويل من جنس واحد - الحقيقة أنهم تكونوا من أجناس متعددة ، وأصبحوا يمتون بسبب اختلاطهم إلى فصيلة واحدة ، وإن تعددت ديانتهم .

أما أسباب كثرة جنسياتهم فهى :

١ - موقع بلييس الاستراتيجى إذ كان مسرحاً لعمليات حربية كثيرة مما كان يدعو بعض الجنود لأن يقيموا فى بلييس فيسكنون ويختلطوا بالأهالى اختلاط رواج فمرور الزمن يصبحوا من أهل البلد .

٢ - وجود بلبيس على طريق القوافل مما كان يدعو بعض القائمين بعملية النقل إلى الإقامة في بلبيس لمباشرة أعمالهم .

٣ - اليهود في بلبيس : قلنا إن اليهود سكنوا في منطقة جوشن ، وظلوا بها حوالي مائتين سنة ، وعند خروجهم من مصر بقي بعضهم واختلطوا بأهالي هذه المنطقة .

٤ - القبط : عندما انتشرت الديانة القبطية في مصر سكن بعض الأقباط مدينة بلبيس ، وكان لهم كنائس بل كانت الكنيسة القبطية المقامة في بلبيس من أهم الكنائس المصرية ، وخصوصاً بسبب مجئ سيدنا عيسى إلى بلدة غيبة ونومه ليلة فيها مما رادها بركة (١) .

كما أن اسم مدينة بلبيس ذكرت في كتبهم .

وكذلك نرى ابنة المقوقس حاكم مصر اختار مدينة بلبيس كمصيف لابنته وبقيت بمصر حتى فتح العرب لمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه .

٥ - المسلمون : لما فتح سيدنا عمرو بن العاص مصر مكث شهراً بها واستشهد بعض المسلمين في الحرب ، فأقيمت لهم القبور ، ولا شك أن بعض المسلمين اختاروا هذه المنطقة سكناً لهم .

كما أن القبائل العربية التي هاجرت من بلاد العرب سكن الكثيرون منهم منطقة بلبيس ، وقد شرحنا ذلك في الفصول السابقة .

ثم أخذ الإسلام ينتشر في ربوع مصر ، وتحول الكثير من الأقباط واليهود عن دينهم ، ولم يجبرهم الإسلام على ترك دينهم عملاً بالآية الكريمة « لا إكراه في الدين » ، « ولكم دينكم ولي دين » .

وهكذا كان سكان بلبيس وأصبحوا يعيشون يداً واحدة ورجلاً واحداً يحبون بعضهم بعضاً .

* * *

(١) هذه المدن مختلف بها ويقدرها بعض المؤرخين بحوالي أربعمئة سنة ولا أرى سبباً للكلام عن هذه المدن بالتفصيل لأنها بعيدة عن موضوعنا .

القرية المصرية

هناك كلمات نسميها كثيراً وتعتقد أنها تدل على معنى المدينة أو القرية أو أى مجمع .

وسنذكر هذه الكلمات لنعطى القارئ فكرة كل منها :

- | | |
|-----------|-------------|
| ١ - بلدة | ٢ - ناحية |
| ٣ - كفر | ٤ - لمج |
| ٥ - نزلة | ٦ - أبغادية |
| ٧ - عزبة | ٨ - أوسية |
| ٩ - منشأة | ١٠ - كورة |
| ١١ - حى | |

وهذه الكلمات تدل على مجتمع من الناس يختلف عدد سكانه فقد يكون صغيراً ويطلق عليه عزبة ، وقد يكون عدد سكانه كبيراً ويسمى مدينة .

وقد يتحدد معنى كل منها بحسب الإدارة والسياسة والزمن ، وكانت البلاد مقسمة منذ عصر الفراعنة مقسمة إلى قرى ، ولكل قرية رئيس أشبه بالعمدة أو شيخ البلد ، وبقي هذا النظام حتى عصر محمد على ، ولكن الذى يرأس المشايخ هو العمدة ، والذى أصبح رئيس القرية وحاكمها وذلك منذ سنة (١٢٦٠هـ) (١) .

الكورة :

أما الكورة فهى كلمة مشتقة من الكلمة اليونانية كورا تعنى مقاطعة أو قرية ، وبقي الاسم اليونانى معروفاً فى مصر حتى الفتح الإسلامى فاحتفظ العرب بالتقسيم الرومانى ، والذى أخذ عن اليونانى من قبل .

وكان يرأس الكورة شخص يسمى صاحب الكورة أو حاكم الكورة ، وكانت مصر العليا ومصر السفلى مقسمة إلى عدة كورات أو عدة مناطق أو قرى (٢) .

(١) القاموس الجغرافى - تأليف محمد رمزى .

(٢) المختار من كتاب ولاية مصر وقضاها الكندى - إبراهيم العدوى (ص ٥) .

ثم تغيرت الاسماء وسميت المنطقة باسم ولاية ، وفى ذلك يقول القلقشندى فى كتابه صبح الاعشى ما يأتى :

كانت بلبيس مقر والى الشرقية ذلك أن الوجه البحرى كان مقسماً إلى أربع ولايات ، وهى الشرقية ومقر حاكمها بلبيس ووالى منوف والغربية ومقر حاكمها المحلة الكبرى . . . (١) .

وكان هذا التقسيم معمولاً به أيام الظاهر برقوق حوالى سنة (١٣٨٢م) .

* * *

أسماء المدن وأسباب تغييرها

وعلاقة ذلك بمدينة بلبيس

يحدث أن يكون اسم مدينة ما معروفاً فى زمن ما ، ولكن تراه وقد اعتراه بعض التغيير والتطوير فى زمن لاحق ، وحينئذ يقف الإنسان مندهشاً هل هو الاسم القديم أم تغير هذا الاسم : الحقيقة أن هذا التغيير يحدث لكثير من المدن وذلك لأسباب عدة أهمها :

١ - دخول غزاة جدد للدولة فيحدث بعض التغيير بما يلاءم لغة الدول الجديدة فمثلاً عندما فتح العرب مصر غيروا وحرفوا أسماء بعض المدن فمثلاً أدخلوا حرف الألف على الاسم القديم للمدينة ، فكانت أسوان أصلها سوان ، ومدينة أسيوط كانت سيوط ، فلما فتح العرب أدخلوا حرف الألف لسهولة النطق فى اللغة العربية .

٢ - قد يترجم اسم المدينة إلى لغة الدولة الحاكمة الجديدة .

٣ - أدخل اليونان كلمة الآله اليونانى بدلاً من الآله المصرى فمثلاً مدينة الفيوم سميت مدونيا الجديدة .

٤ - استعمال الاسم القديم بدلاً من الاسم المتغير فمثلاً كلمة سندهور كان قد غير إلى قرية مال الله ، ولكن صلاح الدين الأيوبي أرجع اسمها إلى سندهور .

٥ - كثرة تغيير الحكام يؤدى إلى كثرة تغيير اسم المدينة .

(١) صبح الاعشى (جزء ٤/ص ٢٦ - ٢٨) .

٦ - هناك مدينة أضيف إلى اسمها اسم المعبود الخاص بهذه المدينة فمثلاً مدينة دمنهور كان اسمها قى ان هور ثم نطقت دى ان هور ثم أصبحت دمنهور وكذلك بليس (١) .

٧ - أسماء قديمة ولكن الاسم غير مقبول لدى النطق فحيث تحاول السلطة تغييره باسم أحسن حتى يلقى قبولاً لدى السامع ، فمثلاً قرية ميت جحيش تغير اسمها ، وكذلك اسم الزربية فتغير اسمها إلى بلد العدلية (٢) .

٨ - اختفاء مدينة بسبب زلزال أو بركان أو حريق ، وقد يترك الاسم بانتهاء المدينة أو يقام بجانبها مدينة أخرى جديدة باسم جديد .

٩ - إعطاء المدينة وخاصة إذا كانت حديثة النشأة اسم أحد الحكام أو رجال الدولة أو باسم حادث مهم ، فمثلاً مدينة السادات ، وكذلك مدينة ٦ أكتوبر ، وستالنجراد .

لماذا تبقى مدينة على ما هى ، بينما تخرب مدينة ، هناك أسباب عدة أهمها :
١ - انقطاع المياه وخصوصاً مياه الرى أو غرق البلدة نتيجة فيضان أو قطع الجسور .

٢ - أكل النهر .

٣ - وجود القرية فى أرض سفلية (واطئة) فلا تصلح للسكنى .

٤ - تسلط عوامل التعرية كالرمال .

٥ - ارتفاع القرية فى جهة جبلية فلا يكون بها ررع .

٦ - الحرائق والأوبئة التى قد تفتك بأهالى البلدة ، وهذا ما حدث لمصر فى القرن الرابع عشر أيام الملك الناصر إذ مات ما يقرب من ربع سكان مصر .

٧ - الظلم والمنازعات والسخرة تؤدى إلى هجرة الأهالى من بلدتهم .

٨ - العادات والعرف فهناك تقاليد تقضى بأنه إذا حدث حادث مهم كالموت ، وأن أهل القرية يتركونها إلى منطقة أخرى .

(١) انظر : كلمة بليس فى الفصل الخاص بها .

(٢) العدلية : بلدة تبغ مركز بليس شرقية .

٩ - اتصال مباني قرية بقرية أخرى فتلتحم القرستان ببعضهما ويصبحان بلداً واحد مثل كفر سليمان غالى .

١٠ - هدم وحرق مدينة ومثل ذلك ما حدث أيام النزاع الذى قام بين كل من شاور وضرغام أيام الدولة الفاطمية .

* * *

بليبس والتقسيم الإدارى فى عهد محمد على

قلنا فيما سبق أن بليبس كانت منذ الأرمئة القديمة عاصمة ولاية الخوف الشرقى (منطقة جوشن) ، وبقيت عاصمة حتى جاء محمد على فأدخل بعض التعديلات الإدارية والتي كانت من ضمنها بليبس بقيت بليبس عاصمة الشرقية حتى سنة (١٨٣٨ هـ / ١٨٤٩ م) .

ولكنه قام بالإصلاح الإدارى للوجه البحرى كالاتى :

- ١ - القليوبية وعاصمتها قليوب .
- ٢ - الدقهلية وعاصمتها المنصورة .
- ٣ - المنوفية وعاصمتها منوف .
- ٤ - الشرقية وعاصمتها بليبس .
- ٥ - الغربية وعاصمتها المحلة الكبرى .
- ٦ - البحيرة وعاصمتها دمنهور .
- ٧ - الجيزة وعاصمتها الجيزة .

إلا أنه حدث تغيير إدارى آخر ذلك أن محمد على وجد أن المدن قد اتسعت واحتاج إلى تسهيل الانتقال بين الناس والموظفين فعمد إلى تقسيم آخر :

- ١ - قسم القليوبية إلى قسمين : ١ - قليوب ، ٢ - بنها .
- ٢ - قسم الشرقية إلى قسمين :
- ١ - قسم يشمل أبو كبير والصوالح .
- ٢ - قسم يشمل بليبس وشيبة والتكاوية والعزيرية .

ثم حدث إصلاح آخر إذا أصبحت الزقاريق هي عاصمة الشرقية بدلاً من بلبس لتوسط موقع الزقاريق للمديرية ، وأصبحت بلبس مركزاً تابعاً للزقاريق ، ومنذ ذلك الوقت والزقاريق هي عاصمة الشرقية .

إلا أن جعل بلبس مركزاً بدلاً من العاصمة لم يفقد عناية محمد على لها إذ نالت رعايته إذ قام بزيارة لهذه المنطقة فوجد أراض شاسعة صالحة للزراعة لكنها كانت متروكة فأمر بتهجير بعض الدين ليس لهم عمل أو أراض إلى هذه الجهة ، وأمر بإقامة السواقى والمساكن للفلاحين الجدد ، وأدخل زراعة أشجار التوت ، وأحضر المتخصصين فى هذه الزراعة من الشام ، وأمر بزراعة شجر الزيتون لاستخراج الزيت لعمل الصابون ، وهكذا تقدمت بلبس وزادت خيراتها (١) .

* * *

تعداد بلبس والقرى التابعة

كان أول تعداد رسمى لمصر هو تعداد سنة (١٨٨٢) .

كانت محافظة الشرقية (مديرية الشرقية) تتكون من سبعة مراكز وهي :

- | | | |
|-------------------|-------------------|----------|
| ١ - بندر الزقاريق | ٢ - مركز الزقاريق | ٣ - بلبس |
| ٤ - فاقوس | ٥ - كفر صقر | |
| ٦ - منيا القمح | ٧ - هيا (٢) : | |

ولكن فى تعداد سنة (١٩٤٧م) تغير الحال فأصبحت مديرية الشرقية تتكون من تسع مراكز :

- | | | |
|-------------------|-------------------|--------------|
| ١ - بندر الزقاريق | ٢ - مركز الزقاريق | ٣ - أبو حماد |
| ٤ - الحسينية | ٥ - بلبس | ٦ - فاقوس |
| ٧ - كفر صقر | ٨ - منيا القمح | ٩ - هيا . |

أما تعداد سنة (١٩٦٠) فإن المديرية احتوت إحدى عشرة مراكز إذا زاد وأصبح أبو كبير وديرى نجم مركزين .

(١) انظر : الجهرنى (جزء ٤/ ص ٢٥٦) . (٢) انظر : التعداد فى الجدول .

كانت بلبيس من المدن الهامة أيام نابليون وقد دخلت الإحصاء الذى عمل لمعرفة سكان المدن المهمة (١) .

١٠٠٠٠	طنطا	٢٦٣,٠٠٠	القاهرة
٥٠٠٠	الفيوم	٨٠٠٠	الإسكندرية
٤٠٠٠	أطفيح	١٠٣٠٠٠	رشيد
١٢٠٠٠	أسيوط	٢٠,٠٠٠	دمياط
٧٠٠٠	جرجا	١٧,٥٠٠	المحلة
٥٠٠٠	بنى سويف	٥٠٠٠	سمنود
٣٠٠٠	الجيزة	٧٥٠٠	المنصورة
٥٠٠٠	قنا	٤٥٠٠	قليوب
٢٠٠٠	أدفو	٣٠٠٠٠	بلبيس
		٤٠٠٠٠	منوف

١ - عدد المسلمين ٦٨٥٢٠ = ٣٥٣٥٣ ذكور

٣٣١٩٧ إناث

عدد المسيحيين ٥٨٠ = ٣٢٣ ذكور

٢٥٧ إناث

عدد اليهود ٩ = ٢ ذكور

٧ إناث

٦٩١١٢

٣٥١٥٩٠

المجموع

٢ - مجموع مركز بلبيس

(١) تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم الجزء الأول تأليف عبد الرحمن الرافعى .

٣ - عدد الطلبة لمدينة بليس

١٦٢٨٠ = ٩٤٢٨ ذكور

٦٨٥٢ إناث

عدد الطلبة لمركز بليس وقراها

٥٩٢٩٠ = ٤٠٢٩٧ ذكور

١٨٩٩٣ إناث (١)

١ - إبراش	٢٦٦٩ =	١٨ - الكتبية	٣٩٦٩ =
٢ - العنبة	٢٠٧١ =	١٩ - الكفر القديم	٣٥٣٦ =
٣ - البلاشون	١٠١٠١ =	٢٠ - المناصرة	١٤٨٥ =
٤ - الخوسق	٤٩٠٨ =	٢١ - المنشية	١٦٨٢ =
٥ - الخون	٢٠٨٩ =	٢٢ - المنير	٩٩٤٠ =
٦ - الروضة	١٥٤٢ =	٢٣ - إنشاء الرمل	١٤٨٠٠ =
٧ - الزوامل	١٢٤٩٩ =	٢٤ - أولاد سيف	٥٣١٩ =
٨ - السعادات	٤٩٥٠ =	٢٥ - أولاد مهنا	٤٤٣٠ =
٩ - السعدون	٣٦٧٤ =	٢٦ - البساتين بركان	١١٧٥٣ =
١٠ - السلام	٧٠٤٤ =	٢٧ - بساتين سراج الدين	١٤٩٠ =
١١ - الشغابيه	٢٧٣٦ =	٢٨ - بنى صالح	٢٦٢٨ =
١٢ - الشولبه	١٥١٢ =	٢٩ - بير عمارة	٣١٩٥ =
١٣ - الصحافة	٣٢٤٢ =	٣٠ - تل روزن	٣٠١٤ =
١٤ - الطحاوية	٣٦٠ =	٣١ - حقنا	٦٠٤١ =
١٥ - العيس	١٣٩٨ =	٣٢ - دهمشا	٥٨٨٨ =
١٦ - العدلية	٨٧٨٠ =	٣٣ - سلمنت	٥١٦٢ =
١٧ - الغفارية	٣١٩٨ =	٣٤ - سندهور	٥٢٨٦ =

(١) الجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء التعداد العام للسكان والإسكان سنة (١٩٧٦م)
محافظة الشرقية - مرجع رقم (٩٣ ص ١١١ - ١٥/١٩٧٨م) .

٦٥٥ =	٥٠ - كفر عبود حجازى	١١٨٧١ =	٣٥ - شبرا النخلة
٥٦٥ =	٥١ - كفر يوسف شحاته	٥٨٩٣ =	٣٦ - غيته
	٥٢ - مدينة مشطول السوق	٣٥٩١ =	٣٧ - قرملة
٢٥٩٦ =	٥٣ - سلمنت	٢١٢٥ =	٣٨ - قسيا
٢٨٨١ =	٥٤ - منية ستنا	١٠٩٢ =	٣٩ - كفر الحبله
٥٦٦٣ =	٥٥ - ميت جابر	١٠٠٤٠ =	٤٠ - كفر ابراش
٢١٤٣ =	٥٦ - ميت خلييت	٢٣٠٣ =	٤١ - كفر أبرهم العابد
٧٣٩٣ =	٥٧ - ميت حمل	٢١١٠ =	٤٢ - كفر اكباد
٤٠٩٥ =	٥٨ - ميت ربيعة اليبضا	٣٣٨ =	٤٣ - كفر السلاوى
٢٤٦٣ =	٥٩ - ميت فعلا	١٦٩٩ =	٤٤ - كفر الشراييه
٤٧٥٠ =	٦٠ - نبتيت	١٥٢٣ =	٤٥ - كفر العرب
٥٨٥٥ =	٦١ - نوبة والدهسانه	٤٠٥٥ =	٤٦ - كفر أبو سليمان
		١٧٨٥ =	٤٧ - كفر بنى عليم
		١٦٩٣ =	٤٨ - كفر حفيا
		٨٥٥ =	٤٩ - كفر دهمشا

٣٥١٥٩

* * *

الباب العاشر

مختارات من آراء المؤرخين عن بليس

مختارات من آراء المؤرخين عن بلبيس

بلبيس : هى بفتح الباء وكسرهما كما فى كتاب مراصد الإطلاع ، وفى خطط المقرئى عن أبى عبيد البكرى أنها بفتح الموحدين بينهما لام ساكنة وهو موضع قريب من مصر اهـ .

ولكن الذى فى القاموس أنها مضمومة الأول ، وقد يفتح فإنه قال بلبيس كخرنيق ، وقد يفتح أوله بلدة بمصر انتهى .

وقال النابلسى بعد أن حكى الضم ، ويقال ببس بحذف الباء الأولى واللام اسم امرأة من الملوك نزلت هناك فسميت بها فيكون بل بفتح الباء حرف لإضراب انتهى .

وكانت تسمى قديماً فلبليس أو فلابيس وهى مدينة أشهر بلاد الشرقية خصوصاً فى الأعصر الماضية ، وكانت قاعدة خط الخوف وكرسيه ، ومحل إقامة حاكمه وفيها مقدار عظيم من النخيل والأشجار بوسطها خليج مقتطع من النيل وقت فيضانه يسمى بحر أبى المنجى يروى جميع أرض الخط ، وقال المقرئى : أنها سميت فى التوراة أرض حاشان ، وفيها نزل يعقوب لما قدم على ابنه يوسف عليهما السلام فأنزله بأرض حاشان ، وهى بلبيس إلى العلاقمة من أجل مواشيهم .

وقال ابن سعيدان واليهما يصل حكمه إلى الواردة التى هى آخر حد مصر وإليها تنتهى المعاملة بفضة السواد ، والناس يتعاملون بالفلوس بعدها إلى العريش ، وهى أول الشام ، وقيل هى آخر مصر ، وذكر ابن خرداذبه فى كتاب المسالك والممالك إن بين بلبيس وقسطاط مصر أربعة وعشرين ميلاً وذكر الواقدي المقوقس زوج ابنته ارمانوسة من قسطنطين بن هرقل وجهازها بأموالها وجواريتها وغلماؤها وحشمها لتسير إليه حتى يبقى بها فى مدينة قيسارية وهم محاصرون بها فخرجت إلى بلبيس ، وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير فى ألفى فارس إلى الفرما ليحفظ

الطريق ولا يدع أحداً من الروم ولا غيرهم يعبر إلى مصر ، وبعث المقوقس رسله إلى أطراف بلاده مما يلي الشام أن لا يتركوا أحد يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب في قلوب عساكره فلما قدم عمر ابن الخطاب الحابية ، وسار عمرو بن العاص إلى مصر نزل على بلبس ، وبها أرماتوسة بنت المقوقس فقاتل من بها ، وقتل منهم رهاء ألف فارس وأسر ثلاثة آلاف وانهزم من بقى إلى المقوقس وأخذت أرماتوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط في بلبس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير إليه ابنته أرماتوسة مكرمة في جميع مالها مع قيس بن أبي العاص السهمي ، فسر بقدمها ثم سار عمرو إلى القصر ، ولم تزل من مدائن مصر الكبار حتى نزل مري ملك الأفرنج فأخذها عنوة بعد حصار طويل ، وقتل منها آفاً ولها أخبار كثيرة ، وقد خرجت منذ عهد الحوادث بديار مصر بعد سنة (٨٠٦ هـ) بعد ما أدركاها بها عمارة كثيرة ، وفيها عدة بساتين وأهلها أصحاب يسار ونعم سنية .

وقال المقرئى : أيضاً أن ناصر الدين العباسى أنشأ بها مدرسة عظيمة قال وفى رمنا قد تهدمت .

وقال ابن حوقل : بين الفسطاط والرملة إحدى عشرة مرحلة ونصف مورعة هكذا من رملة إلى لبنا نصف مرحلة ، وإلى أردود مرحلة ، وإلى غزة مرحلة ، وإلى الرفج مرحلة ، وإلى العريش مرحلة ، وإلى واردة مرحلة ، وإلى البكاره مرحلة ، وإلى القرما مرحلة ، وإلى جرجير مرحلة ، وإلى فاقوس مرحلة ، وإلى بلبس مرحلة ، وإلى الفسطاط مرحلة وبعضهم جعل المرحلة ثلاثين ميلا وبعضهم جعلها أربعة وعشرين ميلا ، وبعض الجغرافيين جعل بين بلبس والفسطاط عشرة فراسخ .

وفى كتاب كثرير نقلا عن بعض من كتب على بلبس أن بين القاهرة ، وبلبس أربع عشرة ساعة وأهلها نحو خمسين ألف نفس وبقرها يجرى نهر ذمكلاوة .

وذكر المقرئى وغيره أن بقر بها قرية تسمى حيفة على نحو يومين من الفسطاط كانت محطة للقوافل القاصدة مكة وبئر تعرف ببئر بيدا .

وفى تاريخ بطارقة الإسكندرية أن بقر بلبس تلاً مرتفعاً وقرتين إحداهما تسمى سامة ، والأخرى تسمى جرابى يسكنهما العرب .

وقال حسن بن إبراهيم أن أرض فاقوس تمتد من جرابى إلى الصالحية وكانت بلبس فى مبدأ الأمر أسقفية مستقلة كأسقفية المنصورة ، ثم ألحقت بأسقفية دمياط ، وقد غلط من قال إن بلبس محل مدينة بيلورة أو محل مدينة كانت تسمى فريبط ، وإنما كانت فى بعض الأزمان من خط فريبط بدليل أن المقرئى فى تعدادة لبلاد مصر ذكر أن فى خط فريبط خمس عشرة قرية غير الكفور ، ومن ضمنها بلبس ، وقال إن فريبط وفاقوس وبسطة وسرير وغيرها قد أعطيت إقطاعات للعرب الذين فتحت مصر على أيديهم وفريبط هى هو بيط وفى زمن النصرانية كانت كرسى إقليم فريبطوس .

وفى خطط المقرئى أيضاً أن قرية سدير بمديرية شرقية ، وكانت من ضمن خط ترابية الذى سماه بطليموس خط العرب الذى عدد قراه (٢٨) منها سدير والحماة وفاقوس ، وكانت سدير فى رأس وادى طوميلات .

وفى كتاب السلوك للمقرئى أن الملك الظاهر بيبرس العللى البندقدارى بنى بها قرية سماها بالظاهرية وطوميلات الذى اشتهر به هذا الوادى علم على قبيلة من قبائل العرب ، وقد تكلم حسن بن إبراهيم على قرية تسمى الكراع بقرب قرية العباسة وقرية سدير .

وقال أبو صلاح أن خليج القاهرة ينتهى إلى سدير هذه بالقرب من العباسة ، وهى قرية من مديرية الشرقية ، وكانت عليه قنطرة من هناك كان ينقل القمح فى البر وتشحن به المراكب ويوجه إلى مكة والحجاز .

وقال ابن الوردى : أن أهل القلزم كانوا يستقون الماء من بئر سدير الواقعة فى وسط الرمل .

وفى خطط المقرئى عن ابن المأمون أن بلاد الشرقية كان لا يصل إليها الماء إلا من الزدوسى من الصماصم ، ومن المواضع البعيدة فكان أكثرها يشرق فى أكثر السنين فتضرر المزارعون إلى أبى المنجى اليهودى ، وكان مشارفاً لأعمال تلك الجهات وسألوه فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه إليهم فابتدأ فى حفر الخليج أبى المنجى فى الثلاثاء ثالث شعبان سنة ست وخمسائة ، وقبل الشروع فى حفره ركب الأفضل بن أمير الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله البطائحي ، وجميع إخوته والعساكر تحاذيه فى البر وجمعت شيوخ البلدان

وأولادهم وركبوا فى البحر ومعهم حزم البوصل فسيروها فى البحر وتبعوها فى المراكب إلى أن وماها الموج إلى الموضع الذى حفر واقية فى الخليج ، وأقام الحفر فيه سنتين ، وكل سنة تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد وخصوبتها ما يهون الغرامة عليه ، ولما عرض عليه الأفضل جملة ما أنفق فيه استعظمه ، وقال غرمتنا هذا المال جميعه والاسم لأبى المنجى فغير ودعى بالبحر الأفضلى فلم يتم ذلك ، ولم يعرف الأيايى المنجى ثم جرت بين أبى المنجى ، وأبى الليث صاحب الديوان بسبب ابنتى خطوب أدت إلى سجن أبى المنجى عدة سنين ثم نفى إلى الإسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ، ولما طال اعتقاله بالإسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل بكتب مصحف بخطه ، ووضع عليه اسمه وبعث به إلى السوق ليبيعه فبلغ الأمر الخليفة فأحضره ، وقال له ما حملك على هذا ، قال طلب الخلاص بالقتل فأدب وخلقى سبيله .

وفى خلافة الأمر بأحكام الله جعل لفتحته يوما كيوم فتح خليج القاهرة ، وأمر ببناء قنطرة متسعة تكون من بحرى السد ، وما زال يوم فتح هذا البحر يوما مشهودا إلى أن زالت الدولة الفاطمية ، فلما استولى بنو أيوب من بعدهم أجروا الحال فيه على ما كان عليه ، وكان يركب له السلطان ، ولما لم يركب إليه الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين بنفسه ركب إليه أخوه مشرف الدين يعقوب الطواشى ، وبدأت فى هذا اليوم من مخايل القبط وخمورهم ومنكراتهم ما لا مزيد عليه ، واختلطت النساء بالرجال ، ولما رفع الأمر إلى السلطان أرسل حاجبه ففرق منهم من وجده ثم عادوا بعد عوده .

وفى سنة اثنتين وتسعين وخمسائة بأمر العزيز كسره وزاد النيل فيه أصبعا ، وهى الأصبع الثامن عشر من ثمانية عشر ذراعاً وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى قال ، وقد تلاشى فى زمننا الاجتماع فى يوم فتح سد أبى المنجى ، وقبل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة .

وفى المقريزى أيضاً أن فى سنة (٧٣١) أمر السلطان محمد بن قلاوون بعمل جسر شيبين ، وسنهود ذلك أن مديرية الشرقية كان لها جملة جسور فى طول بحر أبى المنجى ، وكان خط شيبين ومرصفا ونحوهما فى غالب السنين لا يتم ربيها بسبب علو أرضها فاشتكى الأمير بشتك من تشريق أغلب أراضيها فركب

السلطان من القلعة ، ومعه جملة مهندسين وذهب يكشف الحال بنفسه ، وكان له معرفة بالعمارات ورأى سديد فلما عاين الأراضي أمر بعمل جسر أوله شيين القصر وآخره بنها العسل ، وجمع لذلك اثني عشر ألف ومائتي عربة فعمله ، وعمل به قناطر فعند فتح قنال أبي المنجى تمتلئ الفيضان ، ويمنعها الجسر فترتفع المياه حتى تروى الأراضي العالية .

وقال كثر ميران خليج أبي المنجى هو بحر الطينة بدليل أن بحر الطينة المذكور على رأى هيرودوط وديودور الصقلي واسترابون وبطليموس كان أحد الخليجان الثلاثة المجتمعة في محل افتراق النيل ، وكان الضلع الثالث من الثلث في جهة الشرق وبسبب أن النيل يجلب من وقت الفيضان كثيراً من الطمي ، وميله إلى الغرب أكثر من ميله إلى الشرق حصل مع الزمن ردم فمه ، والظهر أن هذا كان هو السبب في تشكى أهل الشرقية ، ولعل أبا المنجى طهره أو عدله ويدل لذلك أيضاً قول خليل الظاهري أن خليج أبي المنجى يصب في البحر .

وما ذكرناه من أن النيل يميل عن جهة الشرق إلى جهة الغرب لا شبهة فيه بدليل ما ذكره المقرئ في تخطيط موضع الفسطاط أن قصر الشمع كان مطلاً على النيل والمراكب ترسو على بابه الغربي المعروف بباب الحديد .

ولما استولى المسلمون على الحصن ركب المقوقس المراكب من بابه الغربي وعدى إلى جزيرة الروضة المواجهة له ، وكان للنيل مقياس في أحد روايا القصر ، وكان موجوداً إلى سنة عشرين وثمانمائة انتهى .

والظاهر أن بحر أبي المنجى محل الفرع الذي كان يصل إلى مدينة بيلورة (الطينة) ويصب في البحر المالح حيث تزحزح النيل كثيراً من المشرق إلى المغرب .

وقال كثر مير أيضاً في الكلام على السلطان قلاوون أنه بعد انقضاء الحروب سنة خمسمائة واثنين وثمانين من الهجرة اشتغل السلطان بأمر البلاد ، وكانت مديرية البحيرة قد خربت عن آخرها وأملحت أرضها وأصبحت سهولاً ترعى فيها العرب بعد أن كانت في غاية من العمارية ، وكانت أرضها أخصب الأراضي ، وقد ذكر له بعض جلسائه أن خراب تلك البلاد ومحل أرضها سببه قلة الماء بها ، وأن هناك خليجاً قديماً في محل يعرف بالطبرية ردمته الرمال ، ولو حصلت الهمة في حفره عادت إليها عمايتها وخصوبة أرضها لكن يلزم له كثرة الرجال والشغالين ليتم

حفره قبل مجئ النيل عليه لأنه إذا حفر بعضه وبقي البعض ردم النيل ما حفر وليس في أهل تلك المديرية كفاية لذلك فصغى السلطان لقوله ووقع منه موقع القبول ، وكتب في الحال لحكام كافة المديریات البحرية بجمع الأنفار والأبقار ووعد بأنه يحضر في العمل بنفسه وجيشه للمساعدة ، وبعد قليل سار إليه مع أولاده والملك المنصور أمير حماة وأمراء البلد والعساكر ، وكان قيامه في الخامس من المحرم ووصله إلى محل العمل في الثامن منه ، وقسم الخليج على الأمراء ، وجعل لنفسه قسماً معهم فاجتهد كل منهم في حصته بخدمة وماليكه وجلبوا رجالاً بالاجرة وتنافسوا للتقدم وكان السلطان يطوف بنفسه ، ويقف عند كل قسم ويشجعهم بالهدايا والعطايا ، ويطعم رجال قسمه ومن زيادة اهتمامه بتنجز العمل اشتغل معهم بنفسه وأولاده وماليكه حتى حمل قفة التراب على كتفه وكانوا لأجل النشاط يستعملون في كل قسم آلات الطرب كالغزاليات والمغاني وغيرها فتم العمل في عشرة أيام ، فكان خليجاً طوله ستة آلاف قصبة وعرضه من ثلاث قصبات إلى أربع أو أكثر على حسب ارتفاع الأرض وانخفاضها ، وفي اليوم الحادى والعشرين من المحرم قام السلطان بعساكره وحصل لبلاد البحيرة من القوائد بسبب هذا العمل الناجع ما لا يحصى وأخصبت أرضها بعد محلها الذى سببه حرمانها من ماء النيل وحدثت في تلك الجهات بلاد كثيرة بسبب ذلك .

وفي خطط المقرئى أيضاً فى باب نزول العرب بريف مصر ما نصه قال الكندى: وفى ولاية الوليد بن رفاعة الفهمى على مصر نقلت قيس إلى مصر فى سنة تسع ومائة ، ولم يكن بها أحد منهم قبل ذلك إلا ما كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب على هشام بن عبد الملك فسأله أن ينقل منهم أبيتاً فأذن له فى إلحاق ثلاثة آلاف منهم ، وتحويل ديوانهم إلى مصر على أن لا ينزلهم بالفسطاط فعرض لهم ابن الحبحاب ، وقدم بهم فأنزلهم الحوف الشرقى وفرقهم فيه .

ويقال عبيد الله بن الحبحاب لما ولاء هشام بن عبد الملك مصر قال ما أرى لقيس فيها حظاً إلا لناس من جديلة ، وهم فهم وعدوان فكتب إلى هشام أن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحى من قيس ونعمهم ، ورفع من ذكرهم ، وأنى قدمت مصر ولم أر لهم حظاً إلا أبيتاً من فهم وفيها كورة ليس فيها أحد ، وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ، ولا يكسر ذلك خراجاً ، وهى

بلييس فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحى من قيس فليفعل فكتب إليه هشام أنت وذاك فبعث إلى البادية فقدم عليه مائة أهل بيت من نضر ومائه أهل بيت من بنى سليم فأنزلهم ببلييس وأمرهم بالوقوع ونظر إلى الصدقة من العشور فصرفها إليهم فاشتروا إبلا فكانوا يحملون الطعام إلى القلزم ، وكان الرجل يصيب فى الشهر العشرة دنانير وأكثر ثم أمرهم بشراء الخيول فجعل الرجل يشتري المهر فلا يمكث إلا شهراً حتى يركب ، وليس عليهم مؤنة فى علف إبلهم ولا خيلهم لجودة مراهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا إليهم فوصل إليهم خمسمائة أهل بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فأقاموا سنة فأتاهم نحو من خمسمائة أهل بيت فصار ببلييس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس حتى إذا كان زمن مروان بن محمد ، وولى الخوثة بن سهيل الباهلى مصر مالت إليه قيس فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم .

وفى سنة ثمان وسبعين ومائة كشف إسحاق بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس أمير مصر أمر الخراج وراد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الخوف ، وعسكروا فبعث إليهم الجيوش وحار بهم فقتل من الجيش جماعة فكتب إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد يخبره بذلك فعقد لهرثمة بن أعين فى جيش عظيم وبعث به إلى مصر فنزل الخوف وتلقاه أهله بالطاعة وأذعنوا بأداء الخراج فقبل هرثمة منهم واستخرج خراجه كله ثم إن أهل الخوف خرجوا على الليث بن الفضل البيودى أمير مصر ، وذلك أنه بعث بمساحين يمسحون عليهم أراضى زرعههم فانتقصوا من القصبة أصابع فتظلم الناس إلى الليث ، فلم يسمع منهم فعسكروا وساروا إلى الفسطاط فخرج عليهم الليث فى أربعة آلاف من جند مصر فى شعبان سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم فى رمضان فانهزم عنه الجند فى ثمانى عشرة وبقي فى نحو المائتين فحمل بمن معه على أهل الخوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة ^(١) وكان التقاؤهم على أرض جب عميرة ، وبعث الليث إلى القسباط بثمانين رأساً من رؤوس القيسية ، ورجع إلى القسباط وعاد أهل الخوف إلى منازلهم ، ومنعوا الخراج فخرج الليث إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد فى المحرم سنة سبع وثمانين ومائة وسأله أن يبعث معه بالجيوش فإنه لا يقدر على

(١) غيفة هى غيبة الآن .

استخراج الخراج من أهل الحوف إلا بجيش يبعث معه ، وكان محفوظ بن سليم
بباب الرشيد فرفع محفوظ إلى الرشيد يضمن له خراج مصر عن آخره بلا سوط
ولا عصى فولاه الخراج ، وصرف ليث بن الفضل عن صلات مصر وخراجها .

وفى ولاية الحسين بن جميل امتنع أهل الحوف من أداء الخراج فبعث
أمير المؤمنين هارون الرشيد يحيى بن معاذ فى أمرهم فنزل بلبيس فى شوال سنة
إحدى وتسعين ومائة ، وصرف الحسين بن جميل عن إمارة مصر فى شهر ربيع
الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة وولى مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ من أمر
الحوف ، وقدم الفسطاط فى جمادى الآخرة فورد عليه كتاب الرشيد يأمره
بالخروج إليه فكتب إلى أهل الحوف أن اقدموا حتى أوصى بكم مالك بن دلهم ،
وأدخل بينكم وبينه فى أمر خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية ،
وقد أعد لهم القيود فأمر بالابواب فأخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم فى
النصف من رجب منها .

وفى إمارة عيسى بن يزيد الجلودى على مصر ظلم صالح بن شيرزاد عامل
الخراج الناس وزاد عليهم فى خراجهم فانتفض أهل أسفل الأرض وعسكروا
فبعث عيسى بابنه محمد فى جيش لقتالهم فنزل بلبيس ، وحاربهم بنفسه ، وذلك
فى صفر سنة أربع عشر ومائتين فعزل عيسى عن مصر وولى عمير بن الوليد
التميمي ، فاستعد لحرب أهل الحوف وصار فى جيوشه فى ربيع الآخر فزحفوا
عليه واقتتلوا فقتل من أهل الحوف جمع وانهزموا فتبعهم عمير فى طائفة من
أصحابه فعطف عليه كمين لأهل الحوف فقتلوه لست عشرة ليلة خلت من ربيع
الآخر فولى عيسى الجلودى ثانيا ، وسار إليهم فلقبهم بمنية مطر فكانت بينهم
وقعة آلت إلى أن انهزم منهم إلى الفسطاط ، وأحرق ما ثقل عليه من رحله
وخندق على الفسطاط ، وذلك فى رجب وقدم أبو إسحاق بن الرشيد من العراق
فتزل الحوف وأرسل إلى أهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم فى شعبان ودخل وقد
ظفر بعدة من وجوههم إلى الفسطاط فى شوال ثم عاد إلى العراق فى المحرم
سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الأسارى .

فلما كان فى جمادى الأولى سنة ست عشرة ومائتين انتفض أسفل الأرض
بأسره عرب البلاد وقبظها ، وأخرجوا العمال ، وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال

السلطان فيهم فكانت بينهم وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت إلى أن قدم الخليفة عبد الله أمير المؤمنين المأمون إلى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى بن منصور الرافقي ، وكان على إمارة مصر وأمر بحل لوائه وأخذ بلباس البياض عقوبة له ، وقال لم يكن هذا الحدث إلا عن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكنتمنى الخبر العظيم حتى تفاقم الأمر واضطرب البلد .

وفى سنة ست وثمانين وثلثمائة توفى بمدينة بليس الملك العزيز بالله أبو النصر نزار بن المعز لدين الله أبي تميم معد فى الثامن والعشرين من شهر رمضان من مرض طويل بالقولنج فحمل إلى القاهرة ودفن بتربة القصر مع آبائه ، وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما ، وكانت مدة خلافته بعد أبيه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ونصف وبعد موته ببيع بالخلافة فى هذه المدينة أيضاً ابنه الحاكم بأمر الله ، وكان ذلك بعد الظهر من يوم الثلاثاء العشرين من رمضان وسار إلى القاهرة فى يوم الأربعاء بسائر أهل الدولة والعزيز فى قبة على ناقلة بين يديه ودخل القصر قبل صلاة المغرب وأخذ فى جهاز أبيه .

وفى سنة أربع وخمسين وخمسمائة بنى الملك الصالح طلائع بن رزك على بليس حصناً من لبن .

وفى سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الإفرنج من ديار مصر وحكموا فى القاهرة وركبوا المسلمين بالأذى العظيم وتيقنوا أنه لا حامى للبلاد من أجل ضعف الدولة ، وانكشفت لهم عورات الناس فجمع مرى ملك الإفرنج بالساحل جموعاً واستجد قوماً قوى بهم عساكره ، وسار إلى القاهرة من بليس بعد أن أخذها وقتل كثيراً من أهلها .

وفى سنة تسع وثمانين وخمسمائة مات صلاح الدين وتولى ابنه السلطان الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ، وقد كان ينوب عن والده بمصر وهو مقيم بدار الوزارة من القاهرة فحصل بينه وبين أخيه الأفضل فشل أوجب سيره من مصر لمحاربتة ، وحصره بدمشق فدخل بينهما العادل أبو بكر حتى عاد العزيز إلى مصر على صلح فيه دخل فلم يتم ذلك وتوحش ما بينهما ، وخرج العزيز ثانياً إلى دمشق فدبر عليه عمه العادل حتى كاد أن يزول ملكه وعاد خائفاً فسار إليه

الأفضل والعادل حتى نزلا بلبيس فجرت أمور آلت إلى الصلح ، وأقام العادل مع العزيز بمصر وعاد الأفضل إلى مملكته بدمشق .

ولما تولى ابنه الملك المنصور ناصر الدين محمد وعمره تسع سنين قام بأمور الدولة بهاء الدين قرقوش الأردى الأتابك فاختلف عليه أمر الدولة وكاتبوا الملك الأفضل فقدم من صرخد في خامس ربيع الأول فاستولى على الأمور ، ولم يبق للمنصور معه سوى الاسم ثم سار به من القاهرة في ثالث رجب يريد أخذ دمشق من عمه العادل بعد ما قبض على عدة من الأمراء ، فجرت بينه وبين عمه حروب كثيرة آلت إلى عود الأفضل إلى مصر بمكيدة دبرها عليه العادل ، وخرج العادل في أثره وواقعه على بليس فكسره في سادس ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة وألتجأ إلى القاهرة ، وطلب الصلح فعرضه العادل صرخد ودخل إلى القاهرة وخلعه في يوم الجمعة حادى عشر شوال وتسلطن هو باسم الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب .

وفى القرن السابع فما قبله ، وكانت هذه المدينة كما فى المقرئى من مراكز الطير التى كانت تحمل البطائق إلى الملوك كناحية بيسوس وقطيا وغيرهما على ما بيناه فى الكلام على أبراج الحمام عند ذكر منية عقبة .

وقال المقرئى : أيضاً أن ناظر الجيش فخر الدين محمد بن فضل الله بنى بليس مارستانا ، وفعل بها وبغيرها أنواعاً كثيرة من الخير كبناء المساجد وحياض الماء المسبلة فى الطرقات قال : وكان أولاً نصرانياً ، وكان متألها فى نصرانيته ثم أكره على الإسلام فامتنع ، وهم يقتل نفسه وتغيب أياماً ثم أسلم وحسن إسلامه ، وأبعد النصارى ولم يقرب أحداً منهم وحج غير مرة ، وتصدق فى آخر عمره مدة كل شهر ثلاثة آلاف درهم نقرة وزار القدس مراراً وأحرم مرة من القدس بالحج ، وسار إلى مكة محرماً ، وكان إذا خدمه أحد مرة واحدة صار صاحبه طول عمره ، وكان كثير الإحسان لا يزال فى قضاء حوائج الناس من عصبية شديدة لأصحابه ، وانتفع به خلق كثيرون لوجهته عند السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان أولاً كاتب الممالك السلطانية ، ثم ولى نظر الجيش ، ثم صارت المملكة كلها له من أمور الجيش والأموال وغيرها إلى أن غضب عليه السلطان ، وصادره على أربعمائة ألف درهم ثم رضى عنه ، وأمر بإعادة ما أخذ منه فامتنع ، وقال

أنا خرجت عنها للسلطان فليين بها جامعا فبنى بها الجامع الجديد الناصري وكان موته سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة ، وله من العمر ما ينيف على سبعين سنة وترك موجوداً عظيماً إلى الغاية قال السلطان لما بلغه جوابه لعنه الله خمس عشرة سنة ما يدعنى اعمل ما أريد وأوصى للسلطان بأربعمائة ألف درهم نقرة فأخذ من تركته أكثر من ألف ألف درهم ومن حين موته كثر تسلط الملك الناصر على أموال الناس انتهى .

وفى حوادث سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة من تاريخ ابن إياس أن السلطان طومان باى لما تحقق وصول ابن عثمان إلى بلبيس رسم بحرق الشون التى فى بلبيس ، وما حولها حتى الشون التى فى الخانقاة فحرقوا أشياء كثيرة من التبن والدريس والقمح والشعير والفلول وغير ذلك لثلا ينهبه عساكر ابن عثمان لخيوله فتقوى عسكره على القتال ، وصار العرب يقطعون رؤوس العثمانية الذين يظفرون بهم فى الطرقات فيرسلها السلطان إلى المدينة وهو يومئذ فى وطاعة جهة المطرية انتهى .

وفى الجبرتي فى حوادث سنة تسع عشرة ومائتين وألف أن أمراء المماليك لما صار خروجهم من مصر وإجلاؤهم منها واستيلاء عساكر الأرنؤود وعانت المماليك فى البلاد بالفساد ، ومعهم طوائف العرب كما ذكرنا ذلك فى عدة مواضع من هذا الكتاب كالوابلى وغيره ذهبت طائف منهم إلى بلبيس فحاصروهم بها كاشف الشرقية يومين ثم تغلبوا عليه ، ونقبوا عليه الحيطان وقتلوا من معه وأخذوه أسيراً ، ومعه اثنان من كبار العسكر ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين وحضر أبو طويلة شيخ العايد عند الأمراء ، وكلمهم على ترك النهب ، وقال لهم هذه الزروع غلبها للعرب والذى ررعه الفلاح فى بلاد الشرق شركة مع العرب مع أن العرب الواصلين معهم ليس لهم رأس مال فى ذلك فكفوههم وامنعوهم ويأتىكم كفايتكم ، وأما النهب فإنه يذهب هدرأ فلما سمع كبار العرب المصاحيين لهم من الهنادى وغيرهم قوله هنود العرب اغتالوا منه وكادوا يقتلونه ووقع بين العرب مناقشة واختلاف ، وفضل فوق الفشل الحاصل مع الحكام والمماليك ، ولم يزد الأمر على البلاد الأشدة ، وانتهى الفساد إلى خراب البلاد انتهى .

ومن جميع ما تقدم يعلم أن بليس من المدن المعتبرة قديماً نزلتها الملوك ونشأت منها الأكابر والأفاضل .

ففى حسن المحاضرات للسيوطى أن منها عماد الدين محمد بن إسحاق بن محمد بن المرتضى البلييسى الشافعى كان من حفاظ المذهب أخذ عن ابن الرفعة وغيره وولى قضاء الإسكندرية مات بالطاعون فى شعبان سنة تسع وأربعين وسبعمائة وقد قارب السبعين .

ومنها القاضى مجد الدين إسماعيل بن إبراهيم بن محمد بن على بن موسى الكنانى البلييسى تخرج بمغلطاي والتركماني ومهر فى الفقه والفرائض وشارك فى الأدب ، وله تأليف فى الفرائض واختصر الأنساب للرشاطى ، وولى قضاء الحنفية فى القاهرة مات فى ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة .

وفى الضوء اللامع للسخاوى أنه ولد بها الشيخ محمد بن على بن محمد البلييسى المكى الشافعى المعروف بابن النحاس قدم مع أبويه إلى مكة رضيعاً فأرضعته السيدة زينب بنت القاضى أبى الفضل النويرى فلما ترعرع لزم خدمتها وخدمة زوجها ثم نال دنيا بالتجارة وغيرها ، واستفاد عقاراً ونقداً وعروضا ومات سنة سبع وستين وثمانمائة بمكة ، ودفن بالمعلاة وسمع من الزين المراحى والقاضى عبد الرحمن الزرندي ورقية ابن مزروع بالمدينة ومن مخدمته زينب و زوجها الجمال بمكة انتهى .

وفيه أيضاً أن منها الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن أبى العباس البلييسى قاضيه الشافعى يعرف بابن البيشى بموحدة مكسورة بعدها تحثانية ثم معجمة ولد ببليس ونشأ بها ، وكان المجد إسماعيل البلييسى قاضى الحنفية بمصر قريبه من جهة النساء فانتقل عنده بالقاهرة فجدود بعض القرآن ، وحفظ العمدة والمنهاج والالفة وغيرها على قريبه المجد وغيره وأجاروه وبحث جميع المنهاج على الأبناسى وغيره ، وحج مع أبيه صغيراً وكان يستحضر أكثر الروضة والحاوى ، وكتب بخطه الحسن أشياء وناب فى القضاء ببلده عن جماعة بل اقتصر القاياتى أيام قضائه عليه فى الشرقية جميعها إجلالاً له ، وكان إماماً عالماً فقيهاً غاية فى التواضع وطرح التكلف مات سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة ولم يخلف فى الشرقية مثله انتهى .

وفيه أيضاً أن منها الشيخ محمد بن محمد الشمس البليسى القاهرى الشافعى ، ولد ببليس ونشأ بالقاهرة فى كنف أبيه وجاور بالأزهر وانتقل بالفقه ونحوه عند ابن قاسم ، وابن شولة ، وتعب فى تربيته وسافر معه لمكة وبيت المقدس وغيرهما واسترزق من الكتابة والتعليم فى بيت ابن عليّة وفضل فى سعيد السعداء والنبرسية وغيرهما ، وتغير خاطر أبيه منه قليلاً ثم تراجع ، ومات إلا وهو يدعو له وجاور بعد موته موت أبيه بمكة ثم عاد ، وأسكنه الاستادار فى المسجد الذى جدد بالخشابين وجعل له إمامته والقيام به انتهى .

ولم يذكر تاريخ وفاته ، وإنما ذكر أن ولادته كانت سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة .

قال وولد بها أيضاً الشيخ محمد بن محمد الحملى البليسى القاهرى الشافعى وبعد أن حفظ القرآن حفظ العمدة والتبريزى والجرجانية وزرع المنهاج على فقيه بلدة البرهان الفاقوسى وخطب أشتهر بجامع بلدة ثم سحب الشيخ الغمرى ، وتلقن منه ولقى ابن رسلان وتهذب بهديه وأخذ عن الشهاب الزواوى وآخرين وسافر لمكة والمدينة وبيت المقدس والخليل والحلة وتكسب بالفساخة ، وقيد على البخارى والشفاء من الحواشى النافعة ما يدل لفضله واختصر تفسير اليبضاوى مع زيادات ، وكتب على المنهاج فى الزكاة وامتدح النبى ﷺ بقصيدة ، وكان فاضلاً ديناً جيد الفهم بديع التصور صحيح العقيدة خبير بالأمور متين التحرى والعفة حسن العشرة نير الهيئة مات فى ربيع الأول سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، ودفن بجوار أبيه بتربة سعيد السعداء رحمه الله تعالى انتهى .

وفى رحلة سيدى عبد الغنى النابلسى رحمه الله من الشام إلى مصر قال وصلنا بلدة بليس فنزلنا هناك فى زاوية عمرت قبل نحو ستين من تاريخ نزولنا بها على قبر الولى الصالح الشيخ داود الغجرى بفتح الغين المعجمة ، وفتح الجيم وكسر الراء وياء النسبة ، وعليه قبة لطيفة ، وعمارة شريفة ، وهنا مسجد وماء جار بدولاب الدواب من بئر هناك .

قلت : وقد خرب الآن وتعطل وصار المكان مملوء بالرمال وبالقرب منه قبر الشيخ سعدون السطوحى يقال أنه يجتمع مع سيدى أحمد البدوى فى النسب ، وهذا المزار مشهور به وله به مولدان كل سنة بعد عيد الفطر بخمسة أيام وفى

عاشوراء ، وكانا مشهورين جامعين يأتيهما الناس من كل مكان وقد قل اجتماع الناس بهما الآن .

قال سيد عبد الغنى وبالقرب منه قبر الشيخ سعدون الجنزى بفتح الجيم وسكون النون ، ثم رأى وياء النسبة ، وهو رجل من أولياء الله الصالحين له قبة وعليه عمارة ، وهناك أيضاً قبر الشيخ عبد الله .

وهو الذى فتح البلاد ولم يزل يجاهد فى الكفار حتى قتل ، وقطعت رجلاه ، على قبره قبة وعمارة قال وقد قلنا من النظام فى ذلك المقام :

سقى الله وادى النيل فيه فسيحوا	وحفرت ماء جوفهن فسيح
ويا حسبذا بلبيس والنخل راعم	صفوا بها أبان أقبل ربح
كقامات غيد رافعات كفوفها	لنحسو السما والطل ثم يسبح
رمان الشتا حيث الجفا كأنه	دخسان به فاحست مهامه فيح
إذا سار فيه القوم غشى ركابهم	وتمحقه شمس الضحى فستريح
وتلك التلال الغرين مياها	وغدرا نه عنها البلال تزيح
فتمشى بها الأقدام فوق صراطها	إلى حيث شاء والغرام صحيح
بلاد بها مصر الشريفة قد رعت	على ما سواها والمقال صحيح
غلال وجنات من النخل زخرت	بكل قوام ماس وهو رجيح

قلت : وهذا المشهد مشهور يقصده الناس للزيارة والتبرك به ، وهذه المدينة إلى الآن عامرة وبها سوق فيه حوانيت كثيرة مشتملة على أصناف من البضائع والحرف وبها جملة معاصر لزيت الشيرج وأغلب مبانيها بالطوب الأحمر ، وفيها أربعة مساجد جامعة أحدها جامع السلطان العزيز ، ويقال له الجامع الكبير وبه منارة مرتفعة ، وبه مقام العارف بالله تعالى ذى الكرمات الباهرة والنفحات الظاهرة السيد مصطفى المنسى السعدونى نسبة إلى سيدى سعدون السطوحى المدفون بمشهد الشير خارج بلبيس فى البر الشرقى للترعة الحلوة الإسماعيلية مع سعدون الجنزى وغيره كما تقدم وإلى سعدون السطوحى ينسب هذا المشهد ، ولد

السيد المنسى المذكور ببليس ونشأ بها هو ووالده وعائلتهم جميعها ، وأخذ طريق الخلوتية عن الولي الكامل شيخ الإسلام والجامع الأزهر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله الشرقاوي بسنده في هذا الطريق إلى السيد الخفنى رضى الله عنهم جميعاً فتربى في حجر شيخه الشيخ الشرقاوي ورعايته حتى بلغ من الكمال منتهاه وأذنه بالتلقين وتربية المريدين فأقام ببلده يرشد الخلق ، ويقضى حوائج العباد ساعياً في مرضاة الله تعالى ، وكان ذا همة عالية وهيبة تامة وتهابه الحكام ، وتقضى حوائجه جميعها بدون أن يختلط بهم ، وأن يكون لهم عنده منزلة فكان لا يألف إلا الفقراء ولا يعتنى إلا المساكين ، ويقضى حاجة المضطر كأنة ما كانت وباللغة ما بلغت ولو عند أشد الحكام ، وكانت كراماته شهيرة جداً لا ينكرها أحد من أهل عصره خصوصاً من كان كثير الاجتماع به والملازمة له من المطلعين على أحواله .

وتوفى رحمه الله تعالى في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائتين وألف هجرية ودفن بالجامع الكبير ، وكان رضى الله عنه ناظراً في مصالحه قائماً بشعائره وجميع ما يلزم لعمارته لله تعالى فإنه كان قد انقطع إirاده ، ولم يكن له إيراد يصرف عليه منه حتى لاحظته الشيخ رحمه الله ، ولم يزل عامراً إلى الآن ، وهو أعمر مساجد البدو عليه من النور والجلال ما يبهر العقل ولا ينكره أحد سيما بعد أن دفن فيه الشيخ رحمه الله رحمة واسعة .

والثاني جامع السادات وهو جامع المأمون .

والثالث جامع السويقة وهو جامع الناصر ولكل منهما منارة .

والرابع جامع المقوقع وله أوقاف يصرف عليه منها من حوائث ودور وغيرها وهو الآن معطل الشعائر خراب .

وقد عد المقرئ في المحارب التي وضعها الصحابة رضى الله عنهم في قرى مصر محراباً بمدينة بليس ولعله هو محراب الجامع الكبير ، وبها جملة روايا للصلاة أيضاً وحمام غير منتظم بل هو قلدر وأنوال لنسيج الاقمشة البلدية وأرباب حرف وتجار قطن من الدول المتحابة والأهالي ، وجملة أضرحة مثل مقام سيدى

سعدون السطوحى والجترى شرقى الترعة الإسماعيلية له مولدان كل سنة كما تقدم يجتمع فيه كثير من أهالى المديرية ، ومقام سيدى محمد الصادق ، وأمير الجيش وأبى المظلوم ، وغير ذلك ، وبها جملة من النخيل والأشجار المتنوعة وبها مكاتب أهلية لتعليم القرآن والكتابة . والترعة الإسماعيلية تمر فى شرقها بمسافة نحو ألف متر ، وعليها هناك هويس وفى غربها على نحو ألف وخمسمائة متر فرع الشيبينى وغربى ذلك الفرع محطة السكة الحديد ، وكان فى السابق بجوارها من الجهة الغربية بحر يقال له بحر أبى قوام ، وكان له أرضفة بالطوب الأحمر والمونة ، وكان على شاطئه حمام بعض آثاره باقية إلى الآن ، وقد صار ذلك البحر الآن أرض مزارع وصار بينه وبينها نحو مائتى متر .

وبها ثلاثة أشجار كابلية لا توجد إلا فى بلاد الهند واحدة بجنيته الشيخ عمر حرش القاضى ، واثنان فى محل يقال له حمرة الحلبي إحداهما بجوار الساقية من الجهة القبلىة ، وهى خلفه والأخرى فى قبليها بمسافة خمسة عشر متراً ، ومحيط هذه الشجرة متر ، والتى بقرب الساقية محيطها أربعة أعشار متر ، والتى بجنيته الشيخ عمر محيطها ستة أعشار متر وجميعها له شبه بشجر النبق وفروعها تشبه الصفصاف ، ولها شوك يشبه شوك الليمون ولون ورقها يشبه لون ورق النيلة لكنه فى الاستدارة مثل ورق النبق ، وبه نعومة وثمرها يشبه التفاح لكنه على هيئة البلح الطويل ، ويرطب مثل البلح وبه مادة سكرية وأكثر وجوده فى شهر برمهات ، وقد يستديم مثل الليمون وأهل البلد يقولون أنه كان فى هذا المحل أى محل حمرة الحلبي كنيسة حيث وجد به بعض آثار من المباني تدل على ذلك وبحرى الساقية التى بجوار الشجرة أثر مبان تشبه القبور لكنها متداخلة ، وزمام أطيانها ألفان وستمئة وإثنان وعشرون فدانا وثلاثا فدان ، وتعداد أهاليها ذكوراً وإناثاً خمسة آلاف وستمئة وثمان وستون نفساً ، ولها سوق كل يوم خميس يباع فيه المواشى وكافة الأصناف .

وفى غربى مدينة بلبس قرية منية حمل على نحو ثلاثة آلاف متر يفصلها عنها البحر الشيبينى والسكة الحديدية . وفى منية حمل المذكورة من الجهة الغربية قطعة حجر عظيمة مبنية صلب جداً لا تكاد تؤثر فيها المعاول يقال إنها فى الأصل باب من أبواب مدينة بلبس فعلى هذا تكون منية حمل من جملة بلبس ، وبهذا البلد

أعنى منية حمل جامع عظيم محكم الوضع فى وسط البلد ليس بها غيره ومثذنة مرتفعة جداً بناء الظاهر ببيرس البندقدارى ، ولم يزل هذا البناء موجوداً إلى الآن ، وبها من الأضرحة ضريح للشيخ سالم المجاهد بالقرافة ، وضريح الشيخ محمد السقيم ، وضريح سيدى على المزين وضريح سيدى على الغيطى ، وضريح سيدى محمد أبى شريفة .

وإليها ينسب الشيخ أحمد الحملاوى بن محمد بن أحمد ولد بها سنة (١٢٧٣هـ) ، وتربى فى حجر والده وقرأ القرآن بها ، وقدم إلى الأزهر سنة (١٢٧٨هـ) فحفظ المتون وجود القرآن الشريف وتلقى كثيراً من العلوم الشرعية والأدبية عن أفاضل عصره ثم دخل مدرسة دار العلوم ، وتلقى الفنون المقررة قراءتها فيها وسيأتى باقى الكلام عليها فى المنيات .

وفى قبلى بليس على بعد ثلاثة آلاف متر ناحية الزربية على حافة الترعة الإسماعيلية من البر الغربى ، وهى واقعة بأرض رمال وبها مسجد عامر ومكاتب لتعليم القرآن والكتابة ، ومعاصر لاستخراج الزيت وطواحين حناء ، وبها منزل مشيد لعمدتها أحمد مصطفى وبستان وفواكه بجوار السكة من جهة الشمال ، وبها مجلسان للدعوى والمشخة ويكثر فيها زراعة شجر الحناء ، وبها نخيل وأنواع من الأشجار ، وبها وابور لعمدتها المذكور وزمام أطيائها ثمانمائة واثنان وثلاثون قدانا وكسر وعدد أهلها ألف ومائة وأربع وستون نفساً وأكثر تكسبهم من الزراعة .

وكان بها من العلماء الفاضل المحقق الشيخ أحمد عمار نائب محكمة الإسماعيلية سابقاً توفى سنة ١٣٠٢ هـ ، وهو من عائلة تعرف بالصوالحة من الأشراف وأكبر أئمه حضرة محمد أفندى صالح ، ولد فى (٥ من ذى القعدة سنة ١٢٧٢ هـ) ، وبعد أن حفظ القرآن الشريف حضر إلى الجامع الأزهر وتلقى كتب الفقه فى مذهب الشافعى ، وكتب اللغة العربية وغيرها من العلوم الجارى تدريسها بالجامع المذكور ، ثم دخل مدرسة دار العلوم واشتغل بتحصيل علومها بجد ونشاط فتلقى بها الأدبيات والطبيعات والرياضيات والتاريخ ، وغير ذلك مما هو مقرر تحصيله بتلك المدرسة بعد أن أتم دروسه بها ترقى بوظيفة مدرس

بالمدارس الاميرية ، ولم يزل ينتقل من وظيفة إلى أخرى منها حتى صار الآن مفتشاً
بنظارة المعارف العمومية (١) .

* * *

القطعة المقدسة معبودة الفراعنة

ظهرت فى الزقازيق

بقلم الأثرى أحمد الصاوى

فى تل بسطة عثر العلماء على موميات كاملة للقطعة المقدسة أثبت الكربون
(١٤) أن عمرها ٣ آلاف سنة .

لماذا عبد المصريون القطعة طول حياتهم وأحيوها ، وأقاموا لها المعابد والمقابر
... ولماذا يخاف المصريون الآن داخل القرى المصرية ؟

القطعة المقدسة ظهرت فى الزقازيق :

عثروا على مقبرة كبيرة تضم مئات القطط المقدسة فى تل بسطة غرب طريق
العامدة . انتهى العلماء من تشريح موميات القطط وأثبتوا - بالكربون (١٤) -
أنها ترجع إلى نحو ٣ آلاف سنة إلى الوراء .

عثروا على جبانة شعبية تضم القدماء من عامة الشعب من حول المركز الرئيسى
 لعبادة الإلهة القطعة فى تل بسطة ... أكد العلماء أن المصريين عبدوا القطعة منذ ما
قبل التاريخ المكتوب حتى ما بعد الميلاد عبر رحلة طويلة استمر مشوارها أكثر من
٤ آلاف سنة !

لأو مرة - وبعد ٧٠ شهراً من الحفريات - يعثر الأثريون بقيادة أحمد الصاوى
مدير إدارة الحفائر بهيئة الآثار المصرية - على القطط المقدسة « باستت » داخل
أوان فخارية ... وسط سراديب مظلمة فى تل بسطة . . وكانت كل جبانات
القطط السابقة مجرد قطط مدفونة فى التراب . حتى أنه - ولأول مرة أيضاً -
استطاعوا الحصول على خمس مومياوات للآلهة القطعة داخل أوان فخارية ...
والمومياوات كاملة . . . وإن كانت مجرد هياكل عظيمة لخمس قطط مقدسة ، فى

(١) هذا الفصل نقلناه عن كتاب الخطط لعلى مبارك باشا .

الوقت الذى وجدوا فيه نحو ٣٠٠ مومياء أخرى لقطط مقدسة ، ولكن ليست فى حالة جيدة . . . وإنما مجرد عظام اتلفها التراب منذ زمان طويل !
العلم يقول كلمة :

ولما كانت هذه المرة الأولى التى يمكن فيها الحصول على مومياوات كاملة للآلهة باستت فى حالة جيدة فقد قام فريق من علماء التشريح بنقل ثلاث منها إلى معاملهم . . . وتولى الدكتور مصطفى شمس الدين مهمة تشريحها وفحصها داخل معامل كلية الطب البيطرى . . . وانتهى إلى أكثر من حقيقة علمية حول القطط المقدسة .

إن القطط بعد موتها تم تحنيطها ووضعها داخل « رماد فرن » لحفظها من التلف ثم وضعت داخل إناء فخارى صنع خصيصاً لها .
بعد فحص موميات القطط بالكرون (١٤) المشع اتضح أن عمرها فى حدود ٣ آلاف سنة !

القطط المقدسة من فصيلة القطط التى اسمها العلمى : « قليس مانيكولاتا » وهى من أنواع القطط الأليفة أجداد القطط التى تعيش فى بيوت المصريين فى الوقت الحاضر .

ثمة دلائل أخرى غير جبانة القطط تؤكد أن تل بسطة كان المركز الرئيسى لعبادة الإلهة القطط أو سيدة الشرق القديم كما يطلق عليها المؤرخون :
أول دليل المعبد الكبير للقطط والذى عثروا عليه فى تل بسطة . . . والمعبد - وإن كان إطلال الآن - يحتوى على صالات عديدة أضافها الملوك والحكام الذين حكموا مصر . . . كل ملك أو حاكم ترك نقوشه على جدران الصالات التى أضافها للمعبد الكبير الأمر الذى يقطع بأن القطط عبدها المصريون فى كل مكان على أرض مصر ، وأن تل بسطة هى المركز الرئيسى لعبادة سيدة الشرق القديم .

« وأول اسم ملكى وجدوه منقوشاً فى المعبد الكبير لقطط الملك خوفو المؤسس الحقيقى للأسرة الرابعة - (٢٥٩٤) سنة قبل الميلاد - ثم الملك بيبى الأول من الأسرة السادسة - (٢٣٠٠) قبل الميلاد ومن أسماء ملوك الأسر ٢٢ ، ٢٣ ، منذ (٩٤٥) سنة قبل الميلاد - أسماء نقتانيو الأول وشيشنق الأول » .

ملحوظة : يقول العلماء الفرنسيون الذين فحصوا المعبد الكبير للقطة أنه يلزمه ٥ ملايين جنيه لتحويله من مجرد أطلال إلى معبد عظيم .

معبودة كل المصريين :

ولم يكن المعبد الكبير هو المكان الوحيد الذى عثر فيه على آثار باستت الإلهة القطة :

فى معبد دندرة فى أسوان وهو من عصر البطالمة . . . يوجد نقوش للإلهة القطة .

فى منف عاصمة مصر القديمة يوجد معبد قديم - وصفه الرحالة هيرودوت فى كتبه - بأنه معبد للمعبودة القطة .

على أحد جانبي بوابة معبد خفرع عين القطة المقدسة ، وعلى الجانب الآخر الآلهة حتحور البقرة المقدسة إلهة الخصب والأمومة والتكاثر عند المصريين .

فى سفارة عثروا على تمثال للآلهة القطة . . . والتمثال على هيئة امرأة رأسها قطة ، وتحمل فى يدها اليسرى سلة خبز مثل ربة البيت وفى يدها اليمنى «شخشيشة» علامة على المرح والموسيقى ، وهذا التمثال يعنى أن القطة كان لها مكانة كبيرة فى حياة كل مصرى . . . وأنه بالخبز والموسيقى معا يعيش الإنسان المصرى !

أما مدينة بلييس القريبة من تل بسطة كان اسمها قديما « بيريس » ومعناه بيت القطة . . وأن اسم بسطة قد ذكر فى التوراة باللغة العبرية تحت اسم « فيسة » ومعناه مكان عبادة « القطة » .

للعلم : بدأ البحث فى تل بسطة فى عام (١٩٨٧) وقام به العالم الانجليزى نافيل ثم لييب حبشى عام ٣٩ ثم شفيق فريد عام ٦١ ، وأخيراً أحمد الصاوى من ٦٧ حتى الآن .

٤٢ آلهة لكل الناس :

ولكن لماذا عبد المصريون القدماء - طوال حياتهم - القطة وقدموها وأقاموا لها المعابد والمقابر ؟

إن العبادة عند المصريين القدماء - يقول الأثرى أحمد الصاوى - قامت أساساً على الملاحظة الشخصية والافتناع الكامل للإنسان المصرى « وقد بنى المصرى القديم ديانته على أساس غرائز الحب والاحترام والخوف ... وقد أحب المصريون « حتحور » آلهة الجمال واحترموا « تحوت » إله الحكمة والمثل فى أبو قردان وخافوا من اللبوءة « سخمية » وابن آوى « أنوبيس » إله الجبانة وحارسها فعبدوهم خوفاً وتقرباً لهما !

لماذا القطة بالذات :

أما القطة المقدسة التى كانت تعيش داخل بيت كل مصرى فقد عبدها المصريون ٤ آلاف سنة ويزيد لأكثر من سبب :

١ - يقولون إن إحدى عيني القطة تمثل الشمس والعين الأخرى تمثل القمر لاختلاف الأضواء فيهما أثناء النهار والليل .

٢ - لما كانت القطة عدوة الثعبان السام رقم واحد ، فإذا قدسوها واحترموها أكثر من الآلهة الثعبان التى كانت تحمل اسم « وازيت » .

٣ - إذا كان المصريون قد عبدوا اللبوءة « سخيت » إلهة للقوة والشراسة والحرب ، ولكن القطة تختلف عنها ، وإن كانت من نفس النوع ... فهى أليفة ووديدة ومفيدة للإنسان المصرى .

٤ - اكتشف المصريون أنه من الصعب بأن تموت القطة مهما كانت الكوارث التى تقع لها ... ومن هنا خرجت العبارة الشهيرة التى تقول أن القطة بـ ٧ أرواح ، وهى عبارة فرعونية قديمة ما زالت على السنة العامة حتى اليوم .

وحتى اليوم ما زال المصريون يحبون القطة ويحترمونها ويخشون أذيتها ولا يضربونها أبداً أثناء الليل لاعتقادهم - خصوصاً مكان الريف - لأن الملائكة تتقمص أجساد القطط وتنزل إلى الناس ليلاً وتتجول بين الناس عبر الظلام .



مراجع عامة

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - التوراة .
- ٣ - تاريخ مصر تأليف جورجى زيدان - الجزء الثانى .
- ٤ - الفسطاط د/ عبد الرحمن زكى .
- ٥ - مصر القديمة - سليم حسن .
- ٦ - صبح الأعشى - القلقشندى .
- ٧ - عمر مكرم - تأليف محمد فريد أبو حديد .
- ٨ - عمر مكرم - تأليف د/ عبد العزيز الشناوى
- ٩ - العزيز بالله الفاطمى .
- ١٠ - السيف المهند - تأليف بدر الدين العينى .
- ١١ - تراث مصر - عبد الرحمن زكى .
- ١٢ - تاريخ الإسلام السياسى - د/ حسن إبراهيم حسن .
- ١٣ - البردة للبوصيرى .
- ١٤ - القاموس الجغرافى - محمد رمزى .
- ١٥ - قواعد اللغة المصرية القديمة - د/ عبد المحسن بكير .
- ١٦ - نحن العرب - لواء حامد صالح .
- ١٧ - السيوطى .
- ١٨ - الخطط التوفيقية - على باشا مبارك .
- ١٩ - رحلة سيدنا عيسى إلى مصر - العائلة المقدسة .
- ٢٠ - الحركة القومية - عبد الرحمن الرافعى بك .

- ٢١ - رحلات إلى أرض إسرائيل .
- ٢٢ - دليل السياحة في مصر - تأليف أهورى يعورى باللغة العربية .
- ٢٣ - قاموس اللغة القبطية - تأليف لبيب اقلاديوس .
- ٢٤ - لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر - تأليف عبد السلام سالم الهوارى .
- ٢٥ - قاموس الكتاب المقدس .
- ٢٦ - الأسفار التاريخية - د/ على عبد الواحد وافى .
- ٢٧ - فراعنة الكتاب المقدس تأليف حبيب سعيد .
- ٢٨ - هروب سيدنا عيسى إلى مصر - تأليف وليم فريد .
- ٢٩ - رسائل الجيب الإسلامية - السيدة زينب رضى الله عنها - تأليف على أحمد شلبى .
- ٣٠ - قيام الدولة الأيوبية في مصر - تأليف على بيومى .
- ٣١ - مصر ملاذ العالم الإسلامى - الظاهر بيبرس د/ على محمد حمودة .
- ٣٢ - النجوم الزاهرة = تغرى بردى .
- ٣٣ - بدائع الزهور ابن أياس .
- ٣٤ - أدب الرحلات عند العرب في الشرق - تأليف د/ على محسن مال الله .
- ٣٥ - المختار من كتاب ولاية مصر وقضائها - د/ إبراهيم العدوى .
- ٣٦ - كتاب من غير عنوان - في التاريخ الدينى .
- ٣٧ - كتاب في فقه اللغة تأليف د/ صلاح صالح .
- ٣٨ - السويس .
- ٣٩ - بحيرات مصر تأليف لواء عبد المنصف محمود .
- ٤٠ - الجبرتي .
- ٤١ - أبو العباس القلقشندي (صبح الأعشى - تأليف أحمد عزت عبد الكريم).

- ٤٢ - القبائل العربية فى مصر تأليف د/ عبد الله خورشيد البرى .
٤٣ - مصر فى القرآن والسنة تأليف د/ أحمد عبد الحميد يوسف .
٤٤ - مجلة الشرقية .
٤٥ - مجلة المصور عدد ٢٣ إبريل ١٩٨٢ .
٤٦ - مجلة المدرسة الإبراهيمية .
٤٧ - مجلة الهلال .
٤٨ - صحيفة الأهرام عدد ٣٧/٣/١٩٧٦ .
٤٩ - الجهاز المركزى للتعبئة والأحصاء - محافظة الشرقية مرجع ١١١/٩٣ .
٥٠ - مع التوراة تأليف موسى ديان (ترجمنا الجزء الخاص إلى اللغة العربية) .

* * *

مراجع أجنبية

- 1 - Ball Bek in History By John Woad .
- 2 - The Travellers of the Nile .
- 3 - Jewish Travellers Ly Adler .
- 4 - History of Egypt in the Middle Ages By Stanly Lane Pool .
- 5 - The People off Sharkia . تقرير عن مديرية الشرقية .
- 6 - The Route of Exodus .
- 7 - Les Jnities - Les Rites en Egypte .
- 8 - Les Religions Egyptienues Par Mingy .
- 9 - Jewish Encyclopedea .

* * *

فهرس الموضوعات

الصفحة

٥	المقدمة
٧	الباب الأول : بلبس واسمها فى الزمن القديم وأهم مدنها القديمة
٩	بلبس واسمها فى الزمن القديم
١١	جوشن (ومعنى الكلمة)
١١	أهم المدن التى كان تتبع منطقة جوشن
١٣	الباب الثانى : بلبس وأصل الكلمة
١٥	بلبس وأصل الكلمة
١٥	بس
١٧	بر = بير
١٨	بوابسة
١٨	القط ومركزة عند المصريين والقدماء
٢٣	الباب الثالث : بلبس وبلد الرسل والأنبياء والصحابة
٢٥	بلبس بلد الأنبياء والرسل والصحابة
٢٥	سيدنا إبراهيم
٢٦	سيدنا يعقوب فى بلبس
٢٨	سيدنا يعقوب ينزل فى جوشن
٢٩	لماذا سكن يعقوب ؟
٣٠	موسى = سيدنا موسى
٣١	موسى - أين ولد
٣١	الآيات القرآنية
٣٢	سيدنا عيسى عليه السلام فى بلبس
٣٤	رحلة العائلة المقدسة فى مصر
٣٥	رحلة سيدنا عيسى إلى مصر ومجيئه إلى بلبس
٣٥	عمرو بن العاص فى مصر
٣٥	السيدة زينب فى بلبس

٣٧	الباب الرابع : العلماء والرحالة
٣٩	العلماء
٣٩	الشيخ عبد الله الشرقاوى
٤٠	الإمام البوصيرى
٤١	الشيخ زكريا الأنصارى
٤١	الشيخ فخر الدين البلييسى
٤١	الشيخ القمحاوى
٤٢	الشيخ عبد الحليم محمود
٤٣	الرحالة :
٤٥	الباب الخامس : السياحة فى بليس
٤٧	بليس بلد سياحى
٤٧	بليس منطقة آثار
٤٧	المساجد
٤٨	القيسارية
٤٩	العظماء فضلوا اللجوء إلى بليس
٥٠	العظماء الذين فضلوا رياضة بليس
٥١	بليس منطقة صحية
٥١	الحمامات
٥٢	الصحراء الشرقية
٥٢	القنوات المائية فى بليس
٥٣	الباب السادس : طرق المواصلات
٥٥	الطرق فى منطقة جوشن فى العصور القديمة والحديثة
٥٧	طريق الإسكندرية / بليس / غزة
٥٨	البريد
٥٩	الطريق الذى سلكه اليهود عند هروبهم من مصر
٦٠	المواصلات البحرية
٦٢	بحيرة المتزلة
٦٢	اليم

٦٣ البحر الأحمر
٦٤ قناة السويس
٦٧ خليج أمير المؤمنين
٦٨ الخليج المصرى
٧٣ الباب السابع : موقع بلبيس الحربى
٧٥ موقع بلبيس الحربى حدود مصر الشرقية
٧٦ بلبيس وموقعها الحربى
٧٦ بلبيس الخط الثانى
٧٦ فتح العرب لمصر
٧٧ عمرو بن العاص فى بلبيس
٨٠ بلبيس والحملة الفرنسية
٨٠ توزيع القوات الفرنسية فى الوجه البحرى
٨١ المعارك بين الخانكة وأبى زعبل
٨٢ انسحاب الفرنسيين من الخانكة ثم احتلالها
٨٣ احتلال بلبيس
٨٤ معركة الصالحية (١١ أغسطس سنة ١٧٩٨)
٨٥ عودة نابليون إلى القاهرة
٨٦ الاضطرابات فى الشرقية
٨٩ بلبيس والثورة العرابية
٩١ الباب الثامن : القبائل العربية فى بلبيس
٩٣ القبائل العربية التى جاءت مصر وبلبيس
٩٤ القبائل العربية فى مصر
٩٥ قبيلة بنى هلال أو الهلالية
٩٦ أبو زيد الهلالى
٩٧ الأمثلة التى اشتهرت بها أهل بلبيس
١٠٠ اللهجات العربية وأثر القبائل العربية النطق بحرف القاف
١٠١ الباب التاسع : السكان
١٠٣ بلبيس وتكون السكان

١٠٥ القرية المصرية
١٠٦ أسماء المدن وأسباب تغييرها وعلاقة ذلك بمدينة بليس
٨١٠٨ بليس والتقسيم الإدارى فى عهد محمد على
١٠٩ تعداد بليس والقرى التابعة
١١٣ الباب العاشر : مختارات من آراء المؤرخين عن بليس
١١٥ مختارات من آراء المؤرخين عن بليس
١٣٢ القطعة المقدسة معبودة الفراعنة ظهرت فى الزقازيق
١٣٧ مراجع عامة
١٤٠ مراجع أجنبية
١٤١ الفهرس

* * *

هذا الكتاب

يتحدث عن مدينة بليس من عهد الفراعنة من حيث اسمها في الزمن القديم وإن كلمة بليس لم توضع اعتباط ولكن لها معنى وإنها بلد الأنبياء والرسل والصحابة - وقد ظهر من بين سكانها علماء وأفاضل قاموا بخدمات جليلة وقد زار المدينة عدد لا بأس به من الرحالة المشهورين .

وأن بليس من أهم المدن السياحية للأجانب أو المصريين ونحدث عن أهم الآثار الفرعونية الموجودة بها والمساجد الإسلامية وكثير من العظماء الذين فضلوا اللجوء إلى بليس ذلك أن موقع بليس الجغرافي قد أعطاها ميزة عن غيرها .

أهمية موقع بليس الحربى وذكر فى الكتاب كذلك أهم القبائل العربية التى استوطنت فى بليس .

وقد ختم الكتاب بمختارات من آراء المؤرخين عن بليس .

الناشر

Bibliotheca Aegyptia



0304516



To: www.al-mostafa.com